مدينة بيرويك الإسكتلندية بين الإنجليز والإسكتلنديين (١٣١٨-١٣١٩م)

إعداد
سونيا عبد الوهاب

مدينة بيرويك الإسكتلندية بين الإنجليز والإسكتلنديين (١٣١٨-١٣١٩م)

تشكل المدن جانبًا هامًا في تاريخ الشعوب، وعلى مر العصور سطرت كثير من المدن لنفسها صفحات في تاريخ تلك الشعوب، وقامت بدور مهم ومؤثر في الأحداث التاريخية التي مرت بها، وتتمتع بعض المدن بأهمية خاصة تجعلها مطمعًا للأطراف المتصارعة، خاصة المدن الساحلية والتي تمثل مدخلاً بحريًا وبريًا للدولة، ويمكن غزو مثل هذه المدن عن طريق استخدام الأساطيل البحرية بجانب القوات البرية، وعلى الجانب الآخر وهو الجانب الدفاعي فإن الأمر يتطلب ضرورة وجود حماية بحرية لصد أي عدوان عن طريق البحر وحماية برية لصد أي عدوان عن طريق البر. وكذلك المدن الحدودية التي تقع داخل المنطقة الحدودية بين الدول وبعضها البعض، حيث تكون مسرحًا للحروب والنزاعات بين الدول المتجاورة.

وتمثل مدينة بيرويك Berwick - الواقعة شرق مملكة إسكتلندا عند مصب نهر التويد R. Tweed [١]- نموذجًا لهذه المدن الساحلية الحدودية، فكانت واحدة من المدن التي احتلت أهمية كبيرة في السياسة الخارجية الإسكتلندية، وكان لها دور حيوي في الأحداث التاريخية السياسية والعسكرية للمملكة الإسكتلندية، لاسيما خلال فترة العصور الوسطى.

وترجع أهمية مدينة بيرويك أنها تتمتع بالعديد من المقومات، وأهم هذه المقومات الموقع الإستراتيجي للمدينة؛ فقد شكلت مدينة بيرويك مفاتيح الحدود الجنوبية لإسكتلندا، كما تعد قلعة بيرويك إحدى القلاع الأربع الرئيسية في إسكتلندا التي حرص الملوك الإسكتلنديون أن تظل تحت سيطرتهم [٢]، بالإضافة إلى تمتعها بأهمية تجارية كبيرة؛ نظرًا لموقعها البحري فكانت أحد أهم المراكز التجارية بالمملكة، وإحدى المدن الرئيسية لعقد البرلمان الإسكتلندي طيلة العصر الوسيط، ومقرًا للعديد من المناسبات السياسية، ومركزًا مهمًا لحشد الجيوش. ورغم أن مدينة بيرويك كانت تابعة لمملكة إسكتلندا، إلا أنها في الوقت نفسه تعد مدخلاً لإنجلترا من ناحية الشمال؛ لكونها تقع على حدود مقاطعة نورثمبيرلاند Northumberland أحد أهم المقاطعات الإنجليزية الشمالية[٣].

ونتيجة لكل هذه المقومات التي تمتعت بها مدينة بيرويك، لاسيما موقعها الجغرافي، وكونها بلدة حدودية والمفتاح الرئيس لكل من جنوب إسكتلندا وشمال إنجلترا، فإنها لم تكن بمعزل عن الصراع الذي نشب بين البلدين، وظل قائمًا شطرًا كبيرًا من فترة العصور الوسطى؛ نظرًا لمحاولات كل من المملكتين فرض

سيطرتها على المناطق الحدودية المشتركة، التي كانت مسرحًا للكثير من الصراعات والمعارك العسكرية؛ ولكون مدينة بيرويك تقع داخل المنطقة الحدودية الإنجليزية الإسكتلندية، فإنها لم تكن بمأمن من الهجمات الحدودية المتبادلة بين الطرفين، وعانت قرونًا طويلة من هذه الهجمات، وظلت السيادة على المدينة تنتقل ما بين إسكتلندا وإنجلترا حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادي.

وعلى الرغم من تعرض مدينة بيرويك للتخريب مرارًا وتكرارًا خلال الحروب التي دارت بين الإنجليز والإسكتلنديين، إلا أنها لم تفقد أهميتها الإستراتيجية والعسكرية والتجارية، حيث سارع الطرف الذي يسيطر عليها بإجراء إصلاحات وتحسينات على التحصينات والأسوار الدفاعية للمدينة؛ للحيلولة دون وقوعها في قبضة الطرف الآخر؛ مما جعل مدينة بيرويك واحدة من أهم المدن المحصنة في أوروبا.

وكانت كلتا المملكتين المتجاورتين تسعى سعيًا حثيثًا لجعل مدينة بيرويك تحت سيطرتها، خلال بنود اتفاقيات السلام التي يتم توقيعها بين البلدين؛ لكون المدينة محورًا هامًا للقوة لمن يسيطر عليها، فتمنح المملكة التي تسيطر عليها فرصة جيدة لغزو المملكة الأخرى. فعلى سبيل المثال، عندما وقع الملك الإسكتلندي وليم الأول (١١٦٥-١٢١٤م) أسيرًا في أيدي الإنجليز - أثناء محاولته الفاشلة لغزو شمال إنجلترا في عام ١١٧٣م - أصر الملك الإنجليزي هنري الثاني Henry II (١١٥٤-١١٨٩) على الحصول على مدينة بيرويك بموجب اتفاقية فالاز Falaise التي عقدت عام ١١٧٤م[٤]، وبعد موت الملك هنري الثاني وفي شهر ديسمبر عام ١١٨٩م سلم الملك الإنجليزي ريتشارد الأول Richard I (١١٨٩-١١٩٩م) للملك الإسكتلندي وليم الأول ميثاقاً بتخليه طواعية عن كل المزايا والحقوق التي انتزعها والده منه في أثناء وقوعه في الأسر، وأهمها التنازل عن المدن والقلاع الحدودية التي كانت في أيدي الإنجليز، وفي مقدمتها مدينة بيرويك [٥].

وظلت مدينة بيرويك تحت السيادة الإسكتلندية حتى شهر مارس عام ١٢٩٦م، حينما استولى الملك الإنجليزي إدوارد الأول Edward I (١٢٧٢-١٣٠٧م) على المدينة خلال حملته الضخمة على إسكتلندا، وكان فرض السيطرة الإنجليزية على مدينة بيرويك نقطة تحول حاسمة في تاريخ العلاقات بين البلدين، وبداية لثلاثمائة عام من الحروب والصراع بينهما [٦]. وكانت القضية الرئيسية في الصراع بين المملكتين متمثلة في سعي الجانب الإسكتلندي لاستعادة المدن والأراضي التي استولى عليها الإنجليز منذ عهد الملك إدوارد الأول، وبالطبع كانت مدينة بيرويك أهم تلك المدن[٧].

وخلال هذا الصراع كان النصر سجالاً بينهما، لكن التفوق العسكري الذي حققه الإسكتلنديون على القوات الإنجليزية خلال معركة بانوك بيرن Bannockburn في عام ١٣١٤م كان دافعًا قويًا لمواصلة الهجمات الإسكتلندية على الحدود الإنجليزية، ومن ثم شجع الملك الإسكتلندي روبرت بروس Robert Bruce (١٣٠٦– ١٣٢٩م) للقيام باستعدادات واسعة لفرض الحصار على مدينة بيرويك[٨]. فرغم أن معركة بانوك بيرن أنهت الاحتلال الإنجليزي للجنوب الإسكتلندي، إلا أن مدينة بيرويك كانت المدينة الإسكتلندية الوحيدة - من بين جميع المدن التي استولى عليها الملك الإنجليزي إدوارد الأول - التي بقيت تحت سيطرة ابنه الملك إدوارد الثاني Edward II (١٣٠٧-١٣٢٧م) [٩]، وحاول الملك روبرت بروس استردادها في العاشر من شهر يناير عام ١٣١٦م، فشن عليها هجومًا بريًا وبحريًا، لكن تمكن الإنجليز من صد هذا الهجوم الإسكتلندي[١٠].

ولم يتوقف الإسكتلنديون عند هذا الهجوم، ففي بداية شهر ديسمبر عام ١٣١٧م عسكر الملك الإسكتلندي روبرت بروس بجيشه عند إحدى الغابات المجاورة لمدينة كامبوس القديمة Old Cambus - الواقعة على بعد اثني عشر ميلاً من مدينة بيرويك؛ لإنشاء التحصينات الدفاعية، وتجهيز الأدوات الهجومية؛ انتظارًا للفرصة المناسبة لغزو المدينة وإعادتها للسيادة الإسكتلندية[١١]. وحاول الملك الإنجليزي إدوارد الثاني أن يثني الملك الإسكتلندي عن هدفه بشكل سلمي، فأرسل إليه سفارة في منتصف شهر ديسمبر من نفس العام للتفاوض معه، وإقرار الهدنة بين البلدين، لكن الملك الإسكتلندي رفض استقبال السفارة الإنجليزية، وأكد عزمه على الاستيلاء على المدينة وضمها لبلاده، ورفض تأمين خروج السفارة الإنجليزية من مملكته[١٢].

ويقدم اثنان من المؤرخين المحدثين سببًا يجعل الإسكتلنديين يمتنعون عن السماح للسفارة الإنجليزية بالعودة بسلام إلى إنجلترا؛ عندما اطلع السفراء على التجهيزات والعتاد العسكري وأدوات الهجوم التي يجهزها الملك الإسكتلندي لغزو مدينة بيرويك، ومن المؤكد أن تلك المعلومات سيتم نقلها إلى الجانب الإنجليزي[١٣].

وسرعان ما وجد الملك الإسكتلندي الفرصة السانحة لاستعادة بيرويك، فرغم أن الملك إدوارد الثاني اهتم بمراقبة وتأمين المدينة والقلعة بعناية فائقة[١٤]، إلا أن الوضع داخل المدينة كان يتحول من سيئ إلى أسوء؛ نتيجة أن الملك الإنجليزي قد عهد حكم المدينة وقلعتها إلى أحد القادة الإنجليز يدعى روجر هورسلي Roger Horsley، الذي عرف بكراهيته الشديدة

للإسكتلنديين، وتسببت قوة بطشه والتزامه الصارم بالقوانين العسكرية في إثارة كراهية غالبية سكان المدينة[١٥]، وازداد العداء بين المواطنين والحامية العسكرية بشكل عنيف، ولم يستطع روجر هورسلي السيطرة على الوضع داخل المدينة، خاصة بعد إثارة عداوته لأحد القادة المسئولين عن حراسة المدينة وهو بيتر من سبالدينج Peter de Spalding - الذي كان متزوجًا من ابنة عم أحد القادة الإسكتلنديين يدعى روبرت من كيث Robert de Keith[١٦].

ويذكر المؤرخ الإسكتلندي جون باربور John Barbour أن الشقاق اشتد بين حاكم المدينة وبيتر من سبالدينج لدرجة جعلت الأخير يعقد العزم على تقديم المساعدة للإسكتلنديين، فقام في خفية بإرسال خطاب إلى روبرت من كيث خلال شهر مارس عام ١٣١٨م؛ بغرض تسليمه المدينة[١٧]. واتفقت المصادر الإنجليزية على أن خيانة بيتر من سبالدينج وتحالفه مع الإسكتلنديين لتسليم المدينة مقابل مبلغ من المال هي السبب الرئيس في ضياع مدينة بيرويك من الإنجليز[١٨]. ولم تختلف تلك المصادر إلا في تحديد الشخص الذي تواصل معه سبالدينج داخل إسكتلندا لتسليمه المدينة، فتذكر حولية لانركوست Lanercost أن بيتر من سبالدينج اتفق مع جيمس دوجلاس James Douglas إيرل جالواي على تسليم المدينة للإسكتلنديين مقابل رشوة مالية كبيرة وإقطاعيات داخل إسكتلندا [١٩]، بينما يذكر المؤرخ جون من تينماوث John of Tynmouth أن بيتر من سبالدينج تواصل مع القائد الإسكتلندي روبرت من كيث لتسليمه المدينة[٢٠].

ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن زوجة بيتر من سبالدينج الإسكتلندية هي من أشارت عليه بالثأر والانتقام لنفسه من الحاكم الإنجليزي للمدينة من خلال تسليم المدينة للإسكتلنديين [٢١].

على أية حال، طلب بيتر من سبالدينج من روبرت من كيث ضرورة القدوم إلى بيرويك في ليلة الأحد الموافق الأول من شهر أبريل عام ١٣١٨م عند بوابة كاو Cow Gate، حيثما يكون دوره في مراقبة وحراسة المدينة، وطلب منه تجهيز مجموعة من القوات الإسكتلندية بالحبال والسلالم، وأكد له أنه سيتولى بنفسه عملية تأمين المقاتلين الإسكتلنديين أثناء صعودهم لجدران القلعة دون إثارة أية ريبة[٢٢]. ورغم أن بيتر من سبالدينج أوصي روبرت من كيث بسرية الأمر، إلا أن الأخير وجد نفسه في حيرة كبيرة؛ لعدم قدرته على القيام بهذه المغامرة الخطيرة على مسئوليته الشخصية، ومن ثم أطلع الملك الإسكتلندي روبرت بروس على الأمر[٢٣].

ونظرًا للأهمية التي تحظى بها مدينة بيرويك لدى الجانب الإسكتلندي لم يتردد الملك الإسكتلندي في استغلال تلك الفرصة السانحة لفرض سيطرته عليها، فقرر البدء في فرض الحصار عليها، فأصدر الأوامر إلى كل من جيمس دوجلاس إيرل جالواي وتوماس Thomas إيرل موراي Moray، للاجتماع بالقوات التابعة لهما في ليلة الأول من شهر أبريل عام ١٣١٨م في منطقة دانز بارك Duns Park، ويتم ترك كافة الجياد، ثم التسلل بقواتهما نحو المدينة سيرًا على الأقدام، والقيام بتثبيت السلالم على الأسوار الدفاعية وصعودها، واختراق القلعة دون إثارة انتباه أحد من الحراس، وأنه سيلحق بهم في صباح اليوم التالي مع الجيش الرئيسي(٢٤).

وكان مخططًا أن تقوم فرقة كبيرة من القوات الإسكتلندية بتطويق المدينة، وتظل الفرقة الأكبر منها على مقربة من القادة(٢٥)، وأصدر الملك الإسكتلندي أوامره بعدم الاشتباك بالقوات الإنجليزية داخل المدينة، والسعي للاستيلاء عليها قبل وصول التعزيزات بقوات إنجليزية إضافية(٢٦). لكن ما حدث كان عكس ذلك تمامًا، فبمجرد دخول الجنود الإسكتلنديين المدينة كان الإغراء قويًا للسلب والنهب؛ مما دفع الجزء الأكبر من الجنود للانفصال عن قادتهم، والانتشار في جميع أنحاء المدينة تحت ستار ظلام الليل؛ للقيام بأعمال القتل والنهب، ولم يتمكن القادة من كبح جماح جنودهم؛ مما أثار انتباه سكان المدينة الذين فزعوا من ذلك الهجوم الليلي المفاجئ، فانطلقوا مسرعين إلى الشوارع لصد القوات الإسكتلندية(٢٧)، واندفع حشد كبير من أهالي المدينة الإنجليز باتجاه بواباتها في محاولة للفرار منها، في حين توجه عدد منهم نحو القلعة للتحصن داخلها (٢٨).

وفي خضم هذا الموقف، ومع ظهور ضوء النهار أدرك روجر هورسلي حاكم المدينة قلة عدد المقاتلين من القوات الإسكتلندية، فقام بهجوم مضاد عليها، لدرجة أنه كاد أن يطردهم من المدينة، لكن القادة الإسكتلنديين تمكنوا من السيطرة على المقاتلين، وتنظيمهم جيدًا مرة أخرى، وبعد قتال طويل وشاق انسحبت القوات الإنجليزية إلى قلعة بيرويك وتحصنوا داخلها، وفرض الإسكتلنديون سيطرتهم على المدينة(٢٩).

ويختلف المؤرخون في تحديد تاريخ الواقعة، فيذكر بعض المؤرخين الإسكتلنديين أن القوات الإسكتلندية تمكنت من الاستيلاء على المدينة في الثامن والعشرين من شهر مارس عام ١٣١٨م (٣٠). بينما تذكر حولية لانركوست الإنجليزية أن المدينة سقطت في أيدي الإسكتلنديين في الثاني من شهر أبريل من نفس العام (٣١). وترى الباحثة أن الرواية الإنجليزية هي الرواية الصحيحة،

حيث ذكرت الأحداث أن الهجوم وتسليم المدينة بدأ بالاتفاق بين كل من سبالدينج وروبرت من كيث على أن يكون الهجوم في ليلة الأول من إبريل، كما أن الملك الإسكتلندي قد أصدر أوامره إلى كل من إيرل جالواي وإيرل موراي للاجتماع بقواتهما في ليلة الأول من شهر أبريل في منطقة دانز بارك لبداية الهجوم على المدينة واختراق القلعة، ومع ظهور ضوء الشمس صباح يوم الأول من أبريل دارت المعركة بين الجيشين حتى انسحبت القوات الإنجليزية إلى القلعة، وانفراد القوات الإسكتلندية بالمدينة وفرض سيطرتها عليها، وبالتالي فمن المنطق أن سقوط المدينة كان في يوم الثاني من أبريل ١٣١٨م.

وكما كان يذكر عن بطولات خلال معظم العمليات العسكرية في العصور الوسطى، فقد ارتبط بالهجوم الإسكتلندي على مدينة بيرويك عدة بطولات منها ما قام به الفارس الإسكتلندي وليم من جالستون William of Galston الذي قاتل بضراوة فائقة، وشق لنفسه طريقًا بين عدد كثيف من المقاتلين الإنجليز، وحشد رجاله المتناثرين، وهرع لدعم القادة الإسكتلنديين الذين كانوا عرضة للوقوع في الأسر الإنجليزي[٣٢]. وعلى الجانب الإنجليزي ظهرت شخصية الفارس روبرت من بلاكبور Robert de Blackbur، الذي سبح عبر نهر التويد لتوصيل الرسائل من الحامية الإنجليزية في بيرويك إلى الملك الإنجليزي في نيوكاسيل Newcastle [٣٣].

وقبل أن يتمكن الإنجليز من اتخاذ أية خطوة حاسمة لاستعادة بيرويك من يد الإسكتلنديين، وصل الملك روبرت بروس مع باقي جيشه إليها، وتم تأمينها بشكل كامل؛ مما أثار الرعب في قلوب رجال الحامية الإنجليز داخل القلعة، ودفعهم للاستسلام دون قيد أو شرط، لاسيما بعد الإصابة البالغة التي تعرض لها روجر هورسلي حاكم المدينة خلال قتاله ضد الإسكتلنديين[٣٤]. ويختلف المؤرخون في تحديد الفترة التي صمدت فيها قلعة بيرويك أمام الحصار الإسكتلندي؛ فيذكر البعض أن القلعة صمدت لمدة ستة أيام فقط بعد الاستيلاء على المدينة[٣٥]. في حين يذكر البعض الآخر أنها قاومت لمدة أحد عشر أسبوعًا [٣٦].

وترى الباحثة أن صمود قلعة بيرويك أمام الحصار الإسكتلندي لم يستمر فترة طويلة، حيث أن الهجوم كان ليلاً ومفاجئًا وأن المؤن الغذائية المخزنة في القلعة كانت غير كافية للصمود لمدة طويلة من الزمن، كما تبين الأحداث اللاحقة وغزو الملك الإسكتلندي لشمال إنجلترا والاستيلاء على بعض قلاعها في شهر مايو من نفس العام، أن الحصار لم يستمر طويلاً، وأنه لم يكن

ليهاجم شمال إنجلترا إلا إذا أحكم السيطرة على المدينة وقلعتها؛ لذلك ترجح الباحثة أن حصار القلعة لم يستمر سوى ستة أيام فقط وليس أحد عشر أسبوعًا.

على أية حال، عادت مدينة بيرويك إلى حوزة إسكتلندا بعد أن مضى على استيلاء الإنجليز عليها أكثر من عشرين عامًا، منذ أن نجح الملك الإنجليزي إدوارد الأول في الاستيلاء عليها عام ١٢٩٦م(٣٧). ويذكر بعض المؤرخين أن الملك روبرت بروس والزعماء الإسكتلنديين تعاملوا مع السكان الإنجليز في المدينة بتسامح شديد، ولم يتعرض للقتل منهم سوى من قتل في ساحة القتال، وهذا الموقف على النقيض تمامًا مما قام به الإنجليز عندما دخلوا المدينة، فقد اقترفوا مذبحة ضخمة في حق المواطنين الإسكتلنديين، فضلاً عن الإهانات التي عانى منها ملك وقادة إسكتلندا على يد الملك الإنجليزي(٣٨).

وعقب دخول الملك الإسكتلندي روبرت بروس مدينة بيرويك قام بمعاينة تحصينات المدينة الدفاعية والتأكد من قوتها، وقرر الحفاظ على القلعة بدلاً من دكها وتسويتها بالأرض كما كانت عادته مع القلاع والحصون التي كان يتم استعادتها من الإنجليز(٣٩). كما عهد الملك الإسكتلندي بالدفاع عن المدينة وقلعتها إلى أحد القادة الإسكتلنديين المقربين له، يدعى والتر ستيوارد Walter Steward، الذي بدأ على الفور في تنظيم الأمور الدفاعية للمدينة؛ لكونه يعلم علم اليقين أن الإنجليز لا محالة سيقومون بمهاجمة المدينة في غضون أشهر قليلة (٤٠).

وتشكلت الحامية الإسكتلندية التي تم تكليفها بالدفاع عن مدينة بيرويك من مجموعة كبيرة من المقاتلين ورماة السهام وحملة الرماح، فضلاً عن خمسمائة من المقاتلين ممن كانوا يعملون تحت إمرة والتر ستيوارد، حضروا إلى المدينة للقتال تحت راية سيدهم الإقطاعي(٤١). وعلى الرغم من التفوق العسكري للإسكتلنديين على القوات الإنجليزية في ساحة القتال خلال تلك الفترة إلا أن الإسكتلنديين لم يكن لديهم خبرة كافية في عمليات حصار المدن والقلاع، ولمواجهة عدوهم استعانوا بذوي الخبرة والمهارة من غير الإسكتلنديين فيما يتعلق بالأعمال الهندسية وخطط واستراتيجيات الحصار(٤٢)، وأهم من تم الاستعانة به لحماية المدينة من الهجمات الإنجليزية المتوقعة المهندس الفلمنكي جون كراب John Crab، أحد أبرع مهندسي عصره، والذي سيقدم للإسكتلنديين- فيما بعد- دعمًا مهمًا وقت الحصار الإنجليزي للمدينة(٤٣).

ولم يكتف الملك روبرت بروس بفرض سيطرته على مدينة بيرويك الثرية وقلعتها الحصينة، لكنه سعى لتأمين الوجود الإسكتلندي بها، وخلال شهر مايو من عام ١٣١٨م اجتاح الأراضي الإنجليزية الشمالية القريبة من المدينة، وشهدت هذه المناطق حالة واسعة من السلب والتدمير والخراب، ونجح الإسكتلنديون في فرض السيطرة على عدة قلاع تابعة لمدينة بيرويك، أهمها قلعتي وارك Wark وهاربوتل Harbottle، بعدما استسلمت الحاميات الإنجليزية للقوات الإسكتلندية، بعد ذلك عاد الملك بروس إلى إسكتلندا محملاً بالغنائم، والعديد من الأسرى الإنجليز(٤٤).

ونظرًا لأن مدينة بيرويك كانت طيلة الفترة التي خضعت فيها للسيادة الإنجليزية قد شهدت رواجًا تجاريًا واسعًا، فأصبحت العاصمة التجارية للإنجليز، والمركز التجاري الرئيسي لإنجلترا؛ لذا وجد الإسكتلنديون المدينة مكدسة بالبضائع الثمينة والثروات الطائلة(٤٥). بالإضافة إلى حصولهم على كميات ضخمة من الإمدادات الحربية والعتاد العسكري، حيث فاقت الغنائم التي حصل عليها الإسكتلنديون بعد دخولهم المدينة أية غنائم أخرى حصلوا عليها من خلال غاراتهم السابقة على الأراضي والمدن الإنجليزية؛ مما ساعد على إثراء الجيش والخزانة الإسكتلندية بشكل كبير(٤٦).

ولا شك أن فقدان المركز التجاري الرئيس لإنجلترا قد زاد من مرارة الهزيمة وضياع مدينة بيرويك من الإنجليز؛ مما ترك أثرًا عميقًا في نفوس الإنجليز، لاسيما الملك إدوارد الثاني الذي صب غضبه الشديد على حاكم ومواطني مدينة بيرويك الإنجليز، الذين اتهمهم بالتهاون في الدفاع عن المدينة، والسماح للإسكتلنديين بدخولها؛ لذلك أصدر الأوامر في منتصف شهر أبريل عام ١٣١٨م بمصادرة كافة بضائعهم ومنقولاتهم، فضلاً عن قيامه بسجن كل من لاذ بالفرار من بيرويك إلى إنجلترا في أثناء الهجوم الإسكتلندي عليها (٤٧).

وكان نجاح الإسكتلنديين في الاستيلاء على مدينة بيرويك خطوة شديدة الأهمية في تاريخ الصراع بين البلدين، ولها تأثيرها المباشر على إسكتلندا، فقد مكنت الملك روبرت بروس من السيطرة الكاملة على المملكة الإسكتلندية، وعلى الجانب الآخر، كان لها عواقب وخيمة على شمال إنجلترا، الذي أصبح عرضة للهجمات الإسكتلندية(٤٨). واستعدادًا لصد تلك الهجمات استدعى الملك إدوارد الثاني في العاشر من شهر يونيو عام ١٣١٨م قادة جيشه للاجتماع في مدينة يورك في السادس والعشرين من شهر يوليو من نفس العام؛ للمضي قدمًا ضد الإسكتلنديين لاستعادة مدينة بيرويك، لكن الأوضاع الداخلية غير المستقرة حالت بين الملك وتحقيق هدفه، ولم تستجب القوات للأوامر الملكية؛ بسبب

الخلافات المستمرة بين الملك وإيرل لانكستر Lancaster، بالإضافة إلى الخلافات وانعدام الثقة المتبادل بين القادة الإنجليز(٤٩).

كان النزاع بين الملك إدوارد الثاني والبارونات الإنجليز بقيادة إيرل لانكستر السبب الرئيس في صرف انتباههم عن الدفاع العسكري عن بلادهم، وجعل المقاطعات الشمالية لإنجلترا عرضة للهجمات الإسكتلندية المستمرة، وفقدت القدرة على الدفاع، وأصبح سكانها على استعداد للتفاوض مع الإسكتلنديين عن طريق دفع الفدية، بدلاً من انتظار الدعم المتقطع والضعيف من جانب القوات الإنجليزية، كما فضل الكثير منهم الانضمام إلى الإسكتلنديين؛ للحصول على بعض الامتيازات في المقاطعات الجنوبية لإسكتلندا، بدلاً من الدفاع عن بلادهم؛ حيث كانت إنجلترا بأكملها في حالة من السخط التام والانقسام وسوء الحكم، وعليه كان من الصعب الجمع بين القوى الوطنية من أجل هدف واحد مشترك (٥٠).

ولعل هذا كان السبب في تأخر الملك الإنجليزي في محاولته لاستعادة مدينة بيرويك، حيث انتهى عام ١٣١٨م دون أية محاولة عسكرية للانتقام من الإسكتلنديين جراء الخسائر التي لحقت ببلاده(٥١) ؛ ونظرًا لأهمية مدينة بيرويك بالنسبة لإنجلترا كان الملك إدوارد الثاني على استعداد للقيام بكل شيء لإعادتها للسيطرة الإنجليزية؛ لذا سعى في بداية عام ١٣١٩م لتهدئة الأوضاع الداخلية في البلاد، من خلال قيامه بمد جسور التفاهم بينه وبين إيرل لانكستر، الذي قاد التمرد ضده لفترة طويلة (٥٢). ولمساعدة الملك إدوارد في تحمل نفقات الحملة المعدة لاستعادة مدينة بيرويك قدم رئيس أساقفة يورك مبلغًا من المال (٥٣). كما حصل الملك الإنجليزي على موافقة البرلمان الذي انعقد في مدينة يورك للحصول على ضريبة استثنائية؛ من أجل تجهيز حملة عسكرية لإعادة مدينة بيرويك (٥٤).

وبعدما أبرم الملك الإنجليزي اتفاقًا مؤقتًا مع باروناته، وعلى رأسهم إيرل لانكستر، أصدر لهم الأوامر بحشد جيش قويٍّ في مدينة نيوكاسيل في الرابع والعشرين من شهر يوليو عام ١٣١٩م (٥٥)، كما طلب بعض قواته من مقاطعة ويلز التجمع في مدينة نيوكاسيل في نفس التاريخ للمشاركة في الحملة المتجهة نحو مدينة بيرويك(٥٦). وبالإضافة إلى البارونات وأتباعهم من المقاتلين، والقوات الإنجليزية النظامية، كان هناك عدة آلاف من قوات المشاة، والعديد من الفرسان الذين التحقوا بالجيش الإنجليزي طمعًا في الحصول على الغنائم(٥٧).

عبر الملك الإنجليزي الحدود على رأس جيشه في منتصف شهر أغسطس عام ١٣١٩م، وزحف بقوة نحو مدينة بيرويك[٥٨]. وتزامن مع التقدم البري للقوات الإنجليزية دخول أسطول ضخم من السفن العسكرية نهر التويد؛ لنقل الجنود والمؤن والعتاد الحربي، وقطع أية وسيلة اتصال بين الحامية الإسكتلندية المرابطة داخل المدينة والملك الإسكتلندي، ومنعها من الحصول على أية تعزيزات من ناحية البحر، وبذلك يتم إغلاق جميع المنافذ من وإلى المدينة[٥٩].

بدأ الحصار الإنجليزي لمدينة بيرويك في بداية شهر سبتمبر عام ١٣١٩م، وأقام الملك الإنجليزي معسكره على الجانب الإسكتلندي من نهر التويد، وحرص على تأمينه بحفر خنادق شديدة العمق؛ لكي تمكنه من مقاومة أية محاولة من جانب الإسكتلنديين لرفع الحصار عن المدينة، وبعدما أحكم حصاره من كل جانب على المدينة شرع في حصارها على طول الجدران الدفاعية، بحيث فرض عليها طوقًا صارمًا بداية من حدود نهر التويد حتى البحر، امتد في شبه دائرة حول شمال وغرب مدينة بيرويك، وقد قامت قوات الحصار بنصب خيامهم ما بين الخنادق الدفاعية والمدينة، بحيث أصبحت مدينة بيرويك بمثابة قلب لقلعة شديدة الحصانة [٦٠]. وظل الإسكتلنديون لمدة سبعة أيام كاملة يراقبون التجهيزات الإنجليزية التي تجرى أمامهم على قدم وساق، ومن ثم بدأ القلق يتسلل إلى قلوبهم، ورغم إدراكهم حقيقة قطع السبل عليهم بحرًا وبرًا فإن فكرة الاستسلام لم ترد على خاطرهم على الإطلاق، حيث كان غالبية أفراد الحامية الإسكتلندية من أقارب حاكم المدينة ستيوارد، كما أنه عامل رجال المدينة بلطف شديد، وحرص على خدمتهم حتى كسب ثقتهم وتعاطفهم[٦١].

ومع مرور الوقت اكتملت التحصينات الدفاعية التي قام بها الإنجليز، وبعدما نجحوا في تحصين وتأمين معسكرهم ضد الإسكتلنديين، شرعوا في مهاجمة المدينة. وفي اليوم السابع من شهر سبتمبر عام ١٣١٩م بدأ الهجوم الإنجليزي الأول على بيرويك، وكان الإسكتلنديون في صباح هذا اليوم لاحظوا من خلال الأبراج الدفاعية للمدينة نشاطًا غير عادي داخل المعسكر الإنجليزي، حيث ارتفعت الرايات، وأخذ الجنود يهرعون هنا وهناك حاملين أدوات الهجوم [٦٢].

وعلى وجه السرعة، وقبل أن يتمكن الإسكتلنديون من القيام بأي رد فعل، بدأ الهجوم الإنجليزي بقيام قوة ضخمة من رماة السهام بتطويق المدينة من كافة الجوانب، وكانت على أهبة الاستعداد لدفع وابل من السهام تجاه أية ثغرة بالتحصينات الدفاعية للمدينة، وفي الوقت نفسه، وتحت ذلك الوابل من السهام، تقدمت قوة ثانية من حاملي الفؤوس وضربوا بقوة جوانب الخندق

الدفاعي للمدينة حتى يتمكنوا من العبور، وعلى مقربة من الأسوار الدفاعية تجمعت القوتان، وتبعهما قوة ثالثة من الجنود حاملي السلالم ليتم تثبيتها على الأسوار الدفاعية في عدة مواقع، وتم تغطيتهم من خلال رماة السهام [٦٣].

وقد أثار الهجوم الإنجليزي القوي على بيرويك مخاوف الحامية الإسكتلندية المرابطة داخل المدينة، لاسيما أن الأسوار الدفاعية كانت منخفضة للغاية، بحيث يمكن للشخص الواقف بالأسفل طعن المدافعين برمحه[٦٤]. لكن سرعان ما نجح المدافعون الإسكتلنديون في طرح السلالم التي تم تثبيتها من جانب الإنجليز أرضًا، وإلقاء الحجارة والأخشاب المحترقة والمياه المغلية على رؤوس الجنود الإنجليز، لكن لم يؤثر ذلك كثيرًا على الجنود؛ لارتدائهم الخوذات والدروع القوية، فقد أعاقهم بعض الوقت فقط، وعلى هذا المنوال سار القتال بين الجانبين، وتكرر مشهد المحاولات الإنجليزية لتثبيت السلالم، وصعود الجنود عليها، ومن ثم إسقاطها لأكثر من مرة من قبل الإسكتلنديين حتى صباح اليوم التالي [٦٥].

وفي الوقت الذي احتدم فيه القتال برًا عند الجدران الدفاعية لمدينة بيرويك، كان الإسكتلنديون عرضة لهجوم بحري؛ ففي نفس اليوم اقتربت إحدى سفن الأسطول الإنجليزي من الأسوار المطلة على النهر إلى الدرجة التي تسمح فيه المسافة بإنزال جسر متحرك تم تجهيزه؛ من أجل إسقاطه على السور الدفاعي للمدينة، ومن ثم تسهيل عملية عبور الجنود الإنجليز من السفينة إلى أعلى السور، وبالتالي دخول المدينة[٦٦]. وعلى الفور أدركت الحامية الإسكتلندية الهدف المرجو من المحاولة الإنجليزية، وبمجرد أن حاول الإنجليز إنزال الجسر على السور الدفاعي للمدينة تم رشق السفينة بالحجارة والسهام من أعلى الأسوار؛ مما دفع معظم الجنود للقفز في المياه، ولم تتمكن السفينة من الاقتراب بما فيه الكفاية لنقل الجسر المشار إليه [٦٧].

ومما زاد الطين بله للجانب الإنجليزي، أنه حدث انحسار للمدٍ، ومن ثم أصبحت السفينة الإنجليزية عاجزة عن عودة أدراجها، واستغل الإسكتلنديون الموقف، وأمطروها بوابل من الحجارة الثقيلة، وبمجرد تعثر السفينة اندفعت قوة إسكتلندية لمهاجمة المقاتلين الإنجليز المتواجدين على سطح السفينة، وعليه لم يكن أمام الإنجليز سوى هجر السفينة والفرار بأرواحهم تجاه باقي الأسطول، وتم القبض على البقية الباقية، بعد ذلك عاد الإسكتلنديون بالأسرى إلى المدينة، بعدما أضرموا النيران بالسفينة الإنجليزية [٦٨]. وعندما رأى المقاتلون بالأسطول الإنجليزي المرابط بالنهر ألسنة النيران تلتهم سفينتهم، أصابهم الإحباط من أية احتمالات للنجاح من مواصلة الهجوم في ذلك اليوم، وهكذا

باءت المحاولة الإنجليزية الأولى لاقتحام المدينة من ناحية البحر بالفشل، وفي الوقت نفسه، نجح الجنود الإسكتلنديون عند الأسوار الدفاعية بقيادة والتر ستيوارد في صد كل هجوم على بيرويك من ناحية البر(٦٩).

وقد أجبرت هذه الأوضاع الملك الإنجليزي على إصدار الأوامر لقواته بالانسحاب، والعودة إلى معسكرهم، بعدما فقد الكثير منهم، لكن لم يتكاسل الإنجليز بعد فشل المحاولة الأولى لاقتحام المدينة، وقاموا بتجهيز آلة حربية ضخمة، يطلق عليها في العصور الوسطى اسم " الخنزيرة Sow"، وكانت عبارة عن مخبأ مغلق متحرك على عجلات، وتفوق في ارتفاعها أسوار المدينة، ولها سقف مائل مثل ظهر الخنزير الذي أخذ منه اسمها، وكان السقف مغطى بدروع ثقيلة وجلود غليظة؛ بحيث تساعد الجنود وعمال الحفر على التقدم نحو الأسوار الدفاعية؛ من أجل تدمير أساسها، دون أية مخاطرة للإصابة بضربات السهام الإسكتلندية(٧٠) .

وفي صباح يوم الثالث عشر من شهر سبتمبر تعالت الأصوات، وزادت الحركات داخل المعسكر الإنجليزي، وعليه توقع الإسكتلنديون أن القوات الإنجليزية جاهزة لبدء الهجوم الثاني، وسرعان ما تدفقت القوات الإنجليزية من كل حدب وصوب؛ لتثبت السلالم على الأسوار الدفاعية وتسلق درجاتها، لكن الإسكتلنديين ألقوا بها أرضًا - كما فعلوا سلفاً، كما أطلقوا سيلاً من الأحجار الضخمة والسهام المشتعلة باتجاه المقاتلين الإنجليز(٧١). استمر الحال على ذلك المنوال حتى سمع الإسكتلنديون صيحات حماسية من الإنجليز، كانت نذيرًا بأن خطبًا جللاً على وشك الحدوث، ليجدوا الآلة الحربية المسماة بالخنزيرة تتحرك بثبات نحو أسوار المدينة، ورغم محاولاتهم المستميتة لإيقافها بالسهام والحجارة، إلا أنها لم تتأثر، ولم تتوقف عن تقدمها(٧٢).

ولمواجهة هذه الآلة الإنجليزية قدم المهندس الفلمنكي جون كراب للجانب الإسكتلندي اقتراحًا بضرورة تشييد منجنيقٍ ضخمٍ متحركٍ على عجلات، وتجهيز حزمٍ ضخمةٍ من الكتان والأعواد الجافة المغموسة بالقطران، ويتم إشعال النيران بها، ثم رفعها بواسطة الرافعة لتتساقط على الخنزيرة في حالة تقدمها نحو أسوار المدينة(٧٣). ولحسن حظ الإسكتلنديين كان ضمن الإنجليز الذين تم أسرهم من على متن السفينة الإنجليزية المحترقة أحد المهندسين البارعين، والذي سرعان ما تم تهديده بالقتل إن لم يساعد جون كراب في تدمير الخنزيرة (٧٤). ويبدو أن المؤرخ جون باربور اختلط عليه الأمر فيما يتعلق بهذا الأسير وجون كراب، فيذكر أن الأخير كان أحد الأسرى الإنجليز الذين تم أسرهم على يد الإسكتلنديين، لكن ثبت دحض هذا الرأي من

خلال المراسلات التي تمت بين الملك إدوارد وكونت الفلاندرز Flanders، في وقت سابق من عام ١٣١٩م، وكان جون كراب هو محور هذه المراسلات، حيث أظهر الملك الإنجليزي إدوارد الثاني غضبه من جراء ما ارتكبه جون كراب ضد الإنجليز، وقد أكد كونت الفلاندرز للملك الإنجليزي أنه سينتقم له من جون كراب، إذا تمكن من القبض عليه(٧٥) .

على أية حال، حاول المهندس الإنجليزي مرات عديدة تحطيم الخنزيرة من خلال قذف الأحجار الضخمة عليها بواسطة الرافعة، لكنه فشل، وواصلت الآلة تقدمها حتى أصبحت أسفل الأسوار الدفاعية لمدينة بيرويك، وتمكن في النهاية من قذف إحدى الصخور الضخمة التي هبطت مباشرة أعلى سقف الخنزيرة وحطمتها إلى قطع صغيرة، وتبعه الإسكتلنديون وألقوا وابلاً من المقذوفات المشتعلة على بقايا الخنزيرة؛ لتندلع بها ألسنة اللهب، وفى غضون دقائق لم يتبق منها سوى أخشاب محترقة، وبينما نجح بعض من كان بها من جنود وحفارين من الفرار بأرواحهم، انسحق البعض الآخر أسفل الخنزيرة المحترقة (٧٦).

ولم يكد الإسكتلنديون ينتهوا من تحطيم الخنزيرة حتى أعلن المراقبون على الأسوار الدفاعية أن الأسطول الإنجليزي المكتظ بالجنود المدرعين يتقدم بأكمله تجاه المدينة، وسعت بعض السفن - في محاولة محفوفة بالمخاطر - إنزال المقاتلين بالقرب من السور الدفاعي للمدينة، إلا أن الإسكتلنديين أمطروها بالحجارة والسهام المقذوفة من الرافعة الإسكتلندية، وسقط المقاتلون بها ما بين قتيل وجريح، ودقت تلك الحادثة ناقوس الخطر عند بقية البحارة، لدرجة جعلت السفن تحول وجهتها، وتُجبَر على الفرار، وبعد ذلك توقفت أية هجمات للإنجليز على بيرويك عن طريق البحر(٧٧).

وخلال الفترة التي كانت بيرويك تتعرض للهجمات الإنجليزية من ناحيتي البر والبحر، كان والتر ستيوارد يتنقل من نقطة إلى نقطة بطول الأسوار الدفاعية؛ للإشراف على المقاتلين، وسد النقص بالمواضع التي كادت تخلو من الرجال، ولم يتبق بجواره من حرسه الشخصي سوى مقاتل واحد فقط من أصل مائة مقاتل، حيث تم تسخير البقية للدفاع عن المدينة(٧٨). ولم يقتصر الدفاع عن المدينة على الحامية الإسكتلندية فقط؛ فيذكر المؤرخ جون باربور أن نساء وأطفال المدينة قاموا بدور في الدفاع عن المدينة، فكانوا يهرعون تجاه الأسوار الدفاعية يلتقطون الأحجار والسهام لتوصيلها إلى المدافعين، ويستكمل المؤرخ حديثه بقوله: " والغريب أنه رغم وابل السهام الإنجليزي الذي لم ينقطع لم يتعرض أحدُ منهم للقتل أو للجرح" (٧٩) .

وبعد فترة وجيزة، حاولت قوة من الإنجليز اقتحام مدينة بيرويك من خلال نقب الدفاعات الخارجية للمدينة عند بوابة مارى Mary Gate، التي حاولوا إشعال النيران بها، بعدما فشلوا في تحطيمها بالفؤوس، لكن القائد الإسكتلندي والتر ستيوارد تمكن من الانقضاض على القوات الإنجليزية، واحتدم القتال بين الطرفين، واستمرت صيحات المقاتلين تتصاعد على كل الجهات حتى خيم الظلام، ووضع نهاية ليوم طويل من القتال العنيف، بعدما نجح الإسكتلنديون في الدفاع عن المدينة، وقام الإنجليز بالتراجع مرة ثانية نحو معسكرهم، مصابين بحالة من الإنهاك والتعب الشديد(٨٠).

وعقب إخفاق المحاولات الإنجليزية المتكررة لاقتحام مدينة بيرويك سواءً من ناحية البر أو البحر، وجد الملك الإنجليزي أنه من الأفضل التخلي عن فكرة السعي لدخول المدينة بالقوة، مع تشديد الحصار عليها حتى تتعرض الحامية الإسكتلندية للمجاعة، ومن ثم الاستسلام (٨١). لكن كان من الصعب أن يضحي الملك الإسكتلندي بمدينة بيرويك، أو أن يترك قواته عرضة للاستسلام؛ لذا قرر السعي لإجبار الإنجليز على رفع الحصار عن المدينة، من خلال القيام بمحاولة لغزو شمال إنجلترا؛ ولكن بينما كان الصراع على أشده بين الإنجليز والإسكتلنديين حول مدينة بيرويك صدرت الأوامر الإسكتلندية في منتصف شهر سبتمبر عام ١٣١٩م إلى كل من توماس إيرل موراي ودوجلاس إيرل جالواي بالتحرك لغزو مقاطعة يورك Yorkshire على رأس قوة قدرت بخمسة عشر ألف مقاتل، في محاولة منهم لإجبار الإنجليز على رفع الحصار عن مدينة بيرويك(٨٢) .

وترى الباحثة أن قرار الملك الإسكتلندي بمهاجمة شمال إنجلترا في هذا الوقت كان قرارًا صائبًا، ويدل على الحنكة العسكرية التي تمتع بها، وذلك لعدة أسباب: أولاً: إن قيامه بالزحف نحو مدينة بيرويك، والالتحام مع الملك الإنجليزي، الذي جمع غالبية قواته وجنوده أمام المدينة، يعد مخاطرة كبيرة، ربما ينتج عنها آثار كارثية للإسكتلنديين، ربما تنتهي بضياع المدينة نهائيًا. ثانيًا: أنه كان على دراية بأن الفرصة مواتية للقيام بتلك الحملة؛ نظرًا لأن غالبية القوات العسكرية الخاصة بالشمال الإنجليزي كان قد تم جمعها للمشاركة في حصار مدينة بيرويك؛ مما يسهل مهمة القوات الإسكتلندية في تحقيق مكاسب عسكرية كبيرة دون مواجهة إنجليزية تذكر.

وكان الأمر الأكثر خطورة هو المخطط الإسكتلندي بالقبض على الملكة إيزابيلا Isabella زوجة الملك إدوارد الثاني، التي كانت – آنذاك - تقيم بالقرب من مدينة يورك، واحتجازها رهينة، لكن وصلت الإنجليز أخبارُ عن

مخطط الإسكتلنديين من خلال جاسوس إسكتلندي تم القبض عليه في يورك، وعلى الفور قامت الملكة بالفرار إلى نوتنجهام Nottingham [٨٣]. وجدير بالذكر، أنه خلال تلك الفترة ظهر العديد من الإنجليز المشتبه في كونهم يقدمون المساعدة سرًا للإسكتلنديين، وكان من بينهم إيرل لانكستر، الذي هددت قوته العظمى في الشمال بالفعل قوة الملك [٨٤]. وربما علم الجانب الإسكتلندي بمكان تواجد الملكة عن طريقه، أو عن طريق بعض الخونة من حاشيتها [٨٥].

ورغم فشل الإسكتلنديين في القبض على ملكة إنجلترا، إلا أنهم نجحوا في اجتياح مقاطعة يورك، وفي ظل اصطحاب الملك الإنجليزي الغالبية العظمى من القادة والجنود الإنجليز، لم يكن أمامه سوى الاعتماد على مواطني المقاطعة، فأرسل إلى وليم من ميلتون William of Melton رئيس أساقفة يورك؛ لمطالبته بجمع قوات، واعتراض طريق القوات الإسكتلندية، وعليه قام رئيس الأساقفة بجمع جيش قدر بحوالي عشرة آلاف شخص، واتحد الجيش من رجال الدين وقاطنو المدن والقرى وغيرهم، ممن افتقروا إلى الخبرة في القتال، وعلى الفور زحفوا لملاقاة الإسكتلنديين الذين كانوا – حينئذٍ - في طريقهم إلى مدينة ميتون Miton الواقعة على نهر سوال Swale على مسافة اثني عشر ميلا شمال يورك[٨٦].

واشتبك الطرفان في العشرين من شهر سبتمبر عام ١٣١٩م، وتم إشعال النيران في بعض أكوام التبن وصعد منها دخان كثيف، وتمكن الإسكتلنديون- تحت غطاء الدخان الكثيف- من الإحاطة بالقوات الإنجليزية غير المنظمة من جميع الجهات، ومهاجمتها من الأمام والخلف في وقت واحد [٨٧]، ونتيجة لذلك كان الوضع محسومًا منذ البداية، ولم يمر وقت طويل حتى لاذت القوات الإنجليزية بالفرار من ساحة القتال، وتتبعهم الإسكتلنديون حتى تم القبض على الكثير منهم، بينما غرق الكثير منهم في نهر سوال، في حين تمكن رئيس الأساقفة من الوصول بالبقية الباقية من قواته إلى مدينة يورك، وما بين القتلى عُثر على جثامين ثلاثمائة من رجال الدين[٨٨]. وقد أطلق الإسكتلنديون على المعركة بسخرية معركة تشابتر من ميتون Chapter of Miton حيث تعنى كلمة تشابتر Chapter جماعة من رجال الكنيسة [٨٩]. كما أطلق عليها أيضًا اسم المعركة البيضاء، نسبة إلى الرداء الكهنوتي الأبيض، الذي ارتداه رجال الدين الإنجليز فوق دروعهم [٩٠].

وقد حددت الحوليات الإنجليزية عدد من تم قتلهم من رجال الدين والعلمانيين على يد القوات الإسكتلندية بأربعة ألاف شخص، وكان من بينهم نيكولاس فليمنج Nicholas Fleming عمدة يورك، كما ذكرت الحوليات أن حوالي ألف آخرين من رجال الدين الإنجليز غرقوا في نهر سوال، بالإضافة إلى أسر مجموعة كبيرة للحصول على فدية كبيرة[٩١].

ألقت أخبار تلك الكارثة الذعر بقلب الملك الإنجليزي وقلوب رجاله؛ لأن مدينة ميتون لم تكن بعيدة عن مدينة يورك التي تعد من أهم وأغنى مدن شمال إنجلترا [٩٢]. ومن ثم أصبحت القوات الإسكتلندية قاب قوسين أو أدنى من يورك، وبالرغم من حصانة ومناعة أسوارها الدفاعية فإن الاعتماد على سكانها في الدفاع عنها ضد الهجمات الإسكتلندية كان يعني تدميرها على يد الإسكتلنديين؛ لذا اقترح الملك الإنجليزي إرسال قوة من جيشه للدفاع عن يورك، مع استمرار بقية الجيش في حصار بيرويك، لكن تم مقابلة هذا الاقتراح بالرفض من قبل إيرل لانكستر وبارونات الشمال الذين اعترضوا على ترك أراضيهم عرضة للهجمات الإسكتلندية دون رادع، وأصروا على ضرورة أن يزحف الملك الإنجليزي بكل قواته جنوبًا تجاه يورك، ومرة أخرى تجددت الخلافات بين الملك وإيرل لانكستر؛ مما أسفر عن انسحاب الأخير من حصار مدينة بيرويك بكافة قواته [٩٣].

ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن الملك إدوارد الثاني هو من قام بطرد إيرل لانكستر ومرافقيه من المعسكر الإنجليزي، بعدما انتابه الشك في إخلاصهم، وكونهم حصلوا على الرشوة من الملك الإسكتلندي [٩٤]. ويعزو آخرون تلك الخطوة إلى حدوث خلافات داخل المعسكر الإنجليزي بين الملك وإيرل لانكستر حول تحديد الشخص الذي سيتولى حكم مدينة بيرويك عقب الاستيلاء عليها، إلى جانب الخلاف حول تحديد المسئولية في تعيين الحراس الإنجليز المكلفين بالدفاع عن بيرويك قبل دخول الإسكتلنديين[٩٥].

وكيفما كان الأمر، سواء غادر إيرل لانكستر المعسكر الإنجليزي بإرادته أو رغمًا عنه، فلا شك أن رحيله بصحبة القوات التابعة له، والتي مثلت ثلث إجمالي الجيش؛ أدى إلى إضعاف القوات الإنجليزية المحاصرة لمدينة بيرويك، ومن ثم كان سببًا مهمًا دفع الملك الإنجليزي للتفكير في رفع الحصار عن المدينة [٩٦].

كان الملك إدوارد الثاني كارهًا التخلي عن مدينة بيرويك، لكن عزيمته فترت لما حدث من إخفاق متواصل لهجماته على المدينة، ورحيل إيرل لانكستر بقواته، وقيام الإسكتلنديين بنهب مقاطعة يورك، وأجبرته كل تلك الظروف على الانسحاب من أمام مدينة بيرويك، بعدما اقتنع تمامًا بأن مداومة فرض الحصار على المدينة صار أمرًا لا جدوى منه، لاسيما أن البقية الباقية معه في الحصار أصابها الإحباط واليأس من تحقيق أية انتصارات على الإسكتلنديين[٩٧]. وفي الرابع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٣١٩م بدأ الملك الإنجليزي في تجميع قواته، والزحف جنوبًا على أمل اعتراض القوات الإسكتلندية في أثناء عودتها من يورك، لكن علم القادة الإسكتلنديون بمجيئه من جواسيس في معسكره، ومن

ثم تحركوا جهة الشمال الغربي بدلاً من التوجه شمالاً؛ وبذلك تجنبوا مقابلة الجيش الإنجليزي(٩٨).

وهكذا رغم ضخامة الحملة الإنجليزية، لم يتمكن الملك إدوارد الثاني من استعادة مدينة بيرويك، أو تحقيق أية مكاسب عسكرية من حملته، وعاد إلى بلاده يجر أذيال الهزيمة، وعلى الجانب الأخر، عادت القوات الإسكتلندية بسلام، واستقبلها الملك الإسكتلندي بحفاوة شديدة؛ لنجاحها في إتمام المهمة (٩٩). وبعد فترة وجيزة توجه الملك الإسكتلندي إلى مدينة بيرويك، وأمر بزيادة ارتفاع الأسوار الدفاعية للمدينة، حوالي عشرة أقدام، بالإضافة إلى إقامة عددٍ من الأبراج الدفاعية، وبعدما تأكد أن المدينة أصبحت منيعة وسالمة عاد إلى مدينة لوثيان Lothian (١٠٠).

ورغم رحيل الملك الإنجليزي بقواته عن مدينة بيرويك لم تتوقف محاولات الإسكتلنديين لإثارة المشاكل على الحدود الشمالية لإنجلترا؛ كمحاولة لصرف انتباه الإنجليز عن حصار مدينة بيرويك من جديد، تبعًا لسياسة أن الهجوم خير وسيلة للدفاع، فبعد حوالي شهر من رفع الحصار عن المدينة، وفي الأول من شهر نوفمبر عام ١٣١٩م قام الإسكتلنديون تحت قيادة كل من راندولف ودوجلاس بشن هجومٍ جديدٍ على المقاطعات الإنجليزية الشمالية خاصة كمبرلاند Cumberland وويستمورلاند Westmorland، وحصدوا الكثير من الغنائم والأسرى (١٠١). كانت الهجمات الإسكتلندية المستمرة على الشمال الإنجليزي، إلى جانب إخفاق الملك إدوارد الثاني في استعادة بيرويك أسبابًا كافية جعلته يسعى لإعادة تنظيم الشئون العسكرية في المنطقة الشمالية، لاسيما مقاطعة يورك(١٠٢).

وجدير بالذكر كان إخفاق الإنجليز في الاستيلاء على مدينة بيرويك قد أحدث تأثيرًا واضحًا على سياسة الملك إدوارد الثاني الداخلية والخارجية؛ حيث ضعف موقفه داخل بلاده أمام البارونات الإنجليز بعد فشله في حملته على بيرويك، ومن ثم حاول تسوية أوضاعه معهم، واضطر إلى الخضوع لجميع مطالبهم، كما أصدر العفو الملكي عن جميع خصومه(١٠٣). وفيما يتعلق بسياسته الخارجية مع إسكتلندا لم يجد أمامه سوى السعي للتوصل إلى اتفاقية سلام معها؛ لذلك أرسل في بداية شهر ديسمبر عام ١٣١٩م سفارة إلى البلاط الإسكتلندي، ونجحت السفارة في تحقيق هدفها، وفي الحادي والعشرين من نفس الشهر تم الإعلان عن هدنة لمدة عامين، تعهد الملك الإسكتلندي خلالها بعدم إقامة أية حصون جديدة داخل مدينة بيرويك، التي صارت تابعة للتاج الإسكتلندي (١٠٤). وقد ظلت مدينة بيرويك تحت سيطرة الإسكتلنديين حتى عام ١٣٣٣م عندما نجح الملك الإنجليزي إدوارد الثالث Edward III (١٣٢٧-١٣٧٧م) في الاستيلاء عليها، وتبدأ محاولات جديدة من الجانب الإسكتلندي لاستعادة المدينة، وإخضاعها للسيادة الإسكتلندية (١٠٥).

خاتمة:

إن الموقع الإستراتيجي للمدينة وأهميتها الاقتصادية قد يجلب عليها الكثير من المحن والمشكلات، وتزداد هذه المصائب إذا كانت تقع داخل المنطقة الحدودية بين دولتين، ففي حالة الحرب بين الدولتين المتجاورتين تكون مسرحًا لأية صراعات ونزاعات بين الجارتين؛ وبذلك لا تجني سوى مزيدٍ من الدمار والخراب والقتل والسلب والنهب. أما في حالة السلام فيحدث العكس، حيث تكون مركزًا حيويًا للتبادل التجاري بين الدولتين ويحدث رواج اقتصادي وازدهار وانتعاش كبير للمدينة حتى تصل لدرجة الثراء.

وينطبق كل ما سبق على مدينة بيرويك التي كانت تعاني من الدمار والتخريب والنهب والسلب خلال فترات الحروب التي نشبت بين المملكتين المتجاورتين الإنجليزية والإسكتلندية، أما في حالة السلام تصبح مركزًا تجاريًا هامًا للمملكة التي تفرض سيطرتها عليها، وتصبح من أكثر المدن ثراءً.

تناول البحث أحد الأحداث الهامة في تاريخ العصور الوسطى لإحدى المدن الهامة استراتيجيًا وتجاريًا لكل من الأطراف المتصارعة وهي مدينة بيرويك، وهو استعادة الإسكتلنديين للمدينة بعد أن استولى عليها الإنجليز لمدة تزيد عن عشرين عامًا. ومن خلال نظرة تحليلية لهذا الحدث الجلل، تجد الباحثة أن هذا الحدث قد مر بثلاث مراحل متعاقبة، المرحلة الأولى وهي استيلاء الإسكتلنديين على المدينة، ثم المرحلة الثانية وهي حصار القوات الإنجليزية للمدينة، ثم المرحلة الثالثة والأخيرة وهي فك الحصار الإنجليزي للمدينة. وكان لكل مرحلة من هذه المراحل عدة أسباب للنجاح أو الفشل كما يلي:

- المرحلة الأولى : مرحلة استيلاء الإسكتلنديين على المدينة:

نجح الإسكتلنديون في الاستيلاء على المدينة خلال يومين فقط، واستسلمت حامية القلعة بعد حصارها لمدة ستة أيام فقط، وساهم في تحقيق هذا النجاح عدة أسباب هي :

١- الاختيار الجيد لموقع المعسكر الإسكتلندي قبل الهجوم على المدينة، حيث عسكرت القوات الإسكتلندية بعيدًا عن المدينة حتى لا تكون تحت مسمع ومرأى العدو، وحتى لا يرصد العدو التجهيزات والتحركات العسكرية الإسكتلندية، كما أن المعسكر كان قريبًا من الغابة لمزيد من التخفي ولسرعة الاحتماء في الغابة في حالة الهجوم علي المعسكر.

٢- قوة العزيمة والإصرار على تحقيق الهدف المنشود وهو استرداد المدينة، أدى عزم الملك الإسكتلندي على مواصلة القتال لاسترداد المدينة من أيدي الإنجليز إلى عدم قبول التفاوض مع العدو، بل إلى بدء محاولة التفاوض من جانب الملك الإنجليزي قبل المعركة تدل على ضعف قدرته العسكرية وعدم استعداده لمواجهة القوات الإسكتلندية، مما أعطى الدافع للملك الإسكتلندي لرفض التفاوض والإصرار على دخول المدينة.

٣- الإعداد والتخطيط الجيد للهجوم على المدينة، تم الهجوم ليلاً بشكل مفاجئ تحت ستار الظلام؛ مما أدى إلى حدوث حالة من الذعر والفزع لأهالي المدينة، وخروجهم إلى الشوارع فرادى مندفعين غير منظمين، فسحقت القوات الإسكتلندية كل من قاتلهم وحققت الانتصار عليهم بسهولة، فالمفاجأة إحدى أهم وسائل تحقيق النصر.

٤- الاتفاق مع قائد الحراسة بالمدينة بيتر من سبالدينج، فكان لهذا الاتفاق الدور الأهم في الاستيلاء على المدينة؛ فلم يجد الإسكتلنديون أية مقاومة منظمة تذكر من قوات الحراسة، وهذا يدل على أن خرق صفوف العدو من خلال وجود قادة خونة أو جواسيس يسهل تحقيق النصر ويقلل من الخسائر بين المقاتلين. كما أن زواج أحد قادة الحراسة من سيدة إسكتلندية جعله يقدم الدعم للإسكتلنديين، ويسهل دخولهم للمدينة دون مقاومة تذكر.

٥- انسحاب القوات الإنجليزية من المدينة إلى القلعة، إن دخول القوات الإسكتلندية إلى المدينة ليلاً بشكل مفاجئ أحدث ارتباك في صفوف القوات النظامية الإنجليزية؛ فلم تكن جاهزة للقتال، مما أضعف قدرتهم على الاستمرار في المقاومة لمدة طويلة، وأدى انسحاب القوات الإنجليزية من المدينة للقلعة إلى انعدام المقاومة داخل المدينة، وبالتالي أصبحت فريسة سهلة للقوات الإسكتلندية، وهذا يعنى أن الانسحاب من أرض المعركة يضع نهاية للمقاومة ويحقق هزيمة مؤكدة.

٦- قلة المؤن والعتاد داخل القلعة، إن الهجوم المفاجئ ليلاً على المدينة أدى إلى إتاحة الوقت الكافي لتخزين كميات كبيرة من المؤن اللازمة لتمكين القوات الإنجليزية من المقاومة فترة طويلة من الزمن، إلى أن يصل الدعم من الملك الإنجليزي، خاصة وأن عدد القوات داخل القلعة أصبح أكبر بكثير بعد فرار القوات الإنجليزية إليها.

- المرحلة الثانية : مرحلة فرض الحصار الإنجليزي للمدينة :

فشل الإنجليز في تحقيق أية نجاحات من فرض الحصار على المدينة، بل انتهى بالفشل والانسحاب مع كثير من القتلى والجرحى والخسائر المادية في العدد والعتاد العسكري، وتجمعت عدة أسباب أدت إلى فشل الحصار كما يلي:

١- سوء اختيار موقع المعسكر الإنجليزي، حيث عسكرت القوات الإنجليزية على مقربة من الأسوار الدفاعية للمدينة تحت مرأى ومسمع الحامية الإسكتلندية، وبالتالي كانت القوات الإسكتلندية ترصد كل تحركات المعسكر الإنجليزي وعلى استعداد لملاقاة عدوهم وصد هجومهم في أية لحظة، ونتج عن ذلك في فشل المحاولات الإنجليزية دخول المدينة. وعدم استخدام الأساليب البديلة في فرض الحصار على المدينة مثل السيطرة على مداخل المدينة لمدة طويلة لمنع أية إمدادات لها حتى تستسلم.

٢- طول فترة الإعداد وعدم استخدام سلاح المفاجأة، عسكرت القوات الإنجليزية أمام المدينة ما يزيد عن أسبوع، حفرت خلاله الخنادق المنيعة لمنع أية محاولات إسكتلندية لفك الحصار من جهة الشمال والغرب، وهذه الفترة كانت كافية لتجهيز القوات الإسكتلندية المتواجدة داخل المدينة لصد الهجمات الإنجليزية، فتوقع الإسكتلنديون الهجمات الإنجليزية وكانوا مستعدين لها، فليس هناك مفاجأة تربكهم وتفزعهم، بل كانوا متماسكين ومتواجدين في جميع مواقع الهجوم ومستعدين لملاقاة عدوهم.

٣- فشل الإنزال البحري للقوات الإنجليزية وانسحاب الأسطول البحري من المعركة، حيث أدى حرق السفينة في الهجوم الأول إلى بيان مدى القوة الدفاعية للحامية الإسكتلندية، مما دفع الإنجليز إلى الهجوم في المرة الثانية بكل السفن المتواجدة بالأسطول البحري، ومع فشل محاولة الإنزال للسفينة الأولى والخسائر التي لحقت بها هربت باقي السفن من المعركة. وأدى خروج الأسطول البحري من المعركة إلى توحيد جبهة القتال أمام القوات الإسكتلندية وهي الجبهة البرية فقط من جهة الشمال والغرب، ومع وجود التحصينات الدفاعية للمدينة والمهندسين الخبراء في فنون الدفاع، نجح الإسكتلنديون في صد الهجمات المتتالية من القوات الإنجليزية، وفشل الإنجليز في دخول المدينة.

٤- حدوث انشقاق واختلاف داخل صفوف القوات الإنجليزية؛ نشب خلاف بين الملك الإنجليزي وبارونات الشمال بسبب الهجمات الاسكتلندية على المقاطعات الشمالية وتدميرها، وكان نتيجة هذا الخلاف حدوث انشقاق

داخل المعسكر الإنجليزي وانسحاب القادة الشماليين ومعهم ثلث قوات الجيش الإنجليزي لحماية ممتلكاتهم في المقاطعات الشمالية من الهجمات الإسكتلندية، وهذه كانت الضربة القاصمة للقوات الإنجليزية وأدى في نهاية الأمر إلى تدهورها وضعفها في مواصلة الحصار، وإجبارها على الانسحاب وترك المدينة.

٥- فشل الأهالي ورجال الدين في صد الهجوم الإسكتلندي على بعض المقاطعات الإنجليزية الشمالية، وحدوث خراب ودمار ونهب وسلب فيها؛ مما أجبر القادة الإنجليز الشماليين على الانسحاب من القوات الإنجليزية المحاصرة للمدينة، وسرعة العودة إلى ديارهم لمقاومة الهجوم الإسكتلندي عليها وحماية ممتلكاتهم.

- المرحلة الثالثة: مرحلة فك الحصار عن المدينة:

نجح الإسكتلنديون في إجبار الملك الإنجليزي على فك الحصار عن المدينة من خلال عدة آليات هي :

١- التخطيط العسكري الجيد، حيث تم مهاجمة المقاطعات الانجليزية الشمالية بدلاً من المواجهة المباشرة مع القوات الإنجليزية المحاصرة للمدينة. وهذا التخطيط العسكري حقق كثيرًا من المكاسب للجانب الإسكتلندي، سواءًا كانت غنائم وأسرى، أو إجبار بارونات الشمال المشاركين بقواتهم في حصار المدينة على العودة بقواتهم لمقاطعاتهم وترك المعسكر الإنجليزي المحاصر للمدينة، للتخفيف من قوة الحصار وشق صفوف العدو، وهذا ما تحقق بالفعل.

٢- تضامن قادة الجنوب الإسكتلندي مع ملكهم واتحادهم ضد عدوهم، حيث صدرت أوامر الملك الإسكتلندي لبارونات المقاطعات الجنوبية بمهاجمة المقاطعات الإنجليزية الشمالية، فانصاعوا لأوامر ملكهم؛ على النقيض تمامًا مما حدث بين الملك الإنجليزي وبارونات الشمال الإنجليزي، ونشب خلاف وحدث انشقاق في صفوف المعسكر الإنجليزي فأدى إلى هزيمتهم.

٣- ضعف المقاومة الإنجليزية ضد الهجمات الإسكتلندية، حيث كانت القوات الإنجليزية منشغلة بحصار مدينة بيرويك، وشكلت قوات المقاطعات الشمالية جزءًا كبيرًا من القوات الإنجليزية، وتُركت المقاطعات الشمالية بدون حماية عسكرية، وأصدر الملك الإنجليزي أوامره إلى أحد الأساقفة لتكوين قوات من الأهالي ورجال الدين لمقاومة الهجوم الإسكتلندي على تلك المقاطعات، وحيث إن هذه القوات قليلة الخبرة بفنون القتال والتخطيط

العسكري، فكان من السهل على القوات الإسكتلندية النظامية التغلب عليهم وتحقيق الكثير من الغنائم وسبي الكثير من المقاتلين.

٤- فك الحصار وانسحاب الملك الإنجليزي بباقي قواته والعودة لدياره بعد أن لحقت به هزيمة سطرها التاريخ، وتحقيق انتصارٍ للقوات الإسكتلندية على جميع الجوانب، أهمها استمرار فرض سيطرتها على مدينة بيرويك.

ومن خلال عرض وتحليل المراحل المختلفة للصراع على المدينة يتبين أن الإنجليز هم السبب الرئيس في فقد السيطرة على مدينة بيرويك، من خلال خيانة أحد قادتهم. كما أنهم هم السبب في فشل عملية فرض الحصار واسترداد المدينة من خلال تصدع صفوف القوات ،وانسحاب جزء كبير منها.

حواشي البحث

(١) **نهر التويد :** يفصل بين كل من إنجلترا وإسكتلندا ، يبلغ طوله حوالي٩٧ ميلاً ، ينبع جنوب غرب مقاطعة بيبليز Peeblesshire ، يتدفق أولاً في اتجاه الشمال الشرقي، ثم يجرى شرقاً عبر مدن سيلكيرك Selkirk وروكسبورج، وعند الشمال الشرقي يشكل جزءًا من الحد الفاصل بين إنجلترا وإسكتلندا ، وفي النهاية يتجه ناحية الشرق مرة أخرى لكي يعبر نورثمبرلاند لمسافة تقدر بثلاثة أميال، وأخيرًا يدخل بحر الشمال عند مدينة بيرويك Berwick. راجع: Moore,W., Encyclopedia of places, London, 1971, p.752.

(٢) بالإضافة إلى قلاع أدنبرة Edinburgh، وستيرلينج Stirling ، وروكسبورج Roxburgh ، راجع: Fraprie, F., The Castles and Keeps of Scotland, London, 1932, p.141.

(٣) Donnelly, J., An Open Port: The Berwick Export Trade, 1311–1373, in The Scottish Historical Review, Vol.78, No.206, part II, Oct.,1999, pp.145-146; Sanderson, E., History of England, London, 1966, pp.202-204.

- نورثمبرلاند Northumberland: إحدى المقاطعات الإنجليزية التي تقع في الشمال من جانب تلال شيفوت Cheviot Hills ونهر التويد، وتعد مدينة نيوكاسيل من أشهر مدنها، وهي مقاطعة صناعية تشتهر بالصناعات الثقيلة وإنتاج مواد البناء. راجع : Moore, Encyclopedia of places, pp.533-534.

(٤) Early Sources of Scottish History, A.D. 500 To 1286, collected and trans. by Anderson, A., London, 1922, 2 Vols, Vol., II, p.292; Scottish Annals from English Chroniclers, A.D. 500–1286, Collected by, Anderson A., Harford, 1922, pp.261-262.
CF also: Guthrie, W., A General History of Scotland from the Earliest Accounts to the Present Time, London, 1876, Vol., I, pp. 346-347.

- فالاز: هي إحدى المدن الفرنسية التي تقع داخل مقاطعة كالفادوس Calvados الواقعة على نهر إنتى Enty، والذي يبلغ طوله حوالي ثلاثة وعشرون ميلاً، وهى تقع جنوب شرق مدينة كان، وتتميز المدينة برعي الماشية؛ لذا تشتهر بصناعة الجبن . راجع : Moore, Encyclopedia of places, p .258 .

(٥) Capgrave, J., The Chronicle of England, ed. by Hingeston, F., London, 1858, p.145.
CF also: Ridpath, G., The Border - History of England and Scotland, London, 1776, pp.105-106.

(٦) A chronicle of England, B.C. 55- A.D. 1485, written and illustrated by Doyle, J., London, 1864, pp. 265-266; Chronicles of the Picts, Chronicles of the Scots, and other early Memorials of Scottish History, ed., by Skene, W., Edinburgh, 1867, p.214.

(٧) Atlas of Medieval Europe, ed. By Mackay, A., & Ditchburn, D., London, 1997, p.164.

(٨) Lawrie, J., The History of the Scottish Wars from the battle of the Grampian Hills in the year 85 to that of Culloden in the year 1746, Edinburgh, 1825, p.82; Mackenzie, J., The History of Scotland, London, 1902, p.156.

(٩) Armitage, E., The Connection between England and Scotland, London, 1985, p.64; Scott, W., Scotland, 2 Vols., Vol., I, New York, 1900, p.148; Grant, A., Fourteenth Century Scotland, in The new Cambridge Medieval History, vol. VI 1300-1415, ed., by Jones, M., Cambridge, 2008, p.350.

(١٠) The Chronicle of Lanercost, (1272–1347), trans. with notes by Maxwell, H.,Glasgow, 1913, pp.216-218. CF also: Maxwell, Robert the Bruce and the struggle for Scottish Independence, London, 1897, p.233.

(١١) Fraser, W., Douglas Book, in Four Volumes, vol. I, Douglas Memoirs, Edinburgh, 1885, p.139; Ridpath, The Border–History, p.256; Scott, Scotland, Vol. I, p.148; MacEwen, A., A History of the Church in Scotland: in 2 vols., vol. I, 397-1546, London, 1915, p.260; Sheldon, F., History of Berwick up-on Tweed, Edinburgh, 1849, p.82.

(١٢) Ad Cardinales, de successu, & transactis, in Tractatu cum Roberto de Brus. In Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I, p.141. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.253; Scott, Scotland, Vol., I, p. 147; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.260;Thomson, T., A History of the Scottish People from the earliest times, London, 1893, pp. 249-250.

(١٣) Burton, J., History of Scotland from Agricola's invasion to the extinction of the last Jacobite insurrection, 8 vols, vol. I, London, 1873, p.278; Moffat, The Church in Scotland, p. 217.

(١٤) Scott, Scotland, p.148.

(١٥) Wright, The History of Scotland from the Earliest Period to the Present Time, London, 1850, p.106; Fraser, Douglas Book, p.139; Murison, A., King Robert the Bruce, Edinburgh, 1980, p.124; Tytler, The History of Scotland from the Accession of Alexander III to the Union, vol. I, Edinburgh, 1866, p.303; McNamee, The Wars of the Bruces, p.120; Maxwell, Robert the Bruce, pp.255-256.

(١٦) John Barbour, The Bruce, ed., by Mackenzie, W., London, 1909, p.297. CF also: Guthrie, W., A General History of Scotland from the Earliest Accounts to the Present Time, vol. II, London, 1876, p.254; Mackie, M., The story of King Robert Bruce, New York,2007, p.192; Fraser, Douglas Book, p.139; Sheldon, History of Berwick, p.83

(١٧) The Bruce, p.298. CF also: Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.82; Mackie, The story of King Robert Bruce, p.192; Scott, Scotland, p.148; Guthrie, A General History of Scotland, p.254.

(١٨) Chronicles of England, Scotland and Ireland, Six vols., vol. V, ed. by Holinshed, R., London, 1808, p.352; The Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, p.103; Chronicle of Lanercost, p.219; The New Chronicles of England and France, ed., by Fabyan, R., London, 1811, p.421;Thomas Walsingham, Chronica Monasteriis Albani, Historia Anglicana, vol. I, A. D., 1272– 1381, ed., by Riley, H., London, 1863, p.155.

(١٩) p.219. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.124.

(٢٠) The chronicle, in Nova Legenda Anglie, ed., by Horstmann, C., Oxford, 1901. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.124.

(٢١) Wright, The History of Scotland, p.106.

(٢٢) John Barbour, The Bruce, p.298. CF also: Fraser, Douglas Book, p.139; Ridpath, The Border – History, p.258; Sheldon, History of Berwick, p.83.

(٢٣) Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.82; Mackie, The story of King Robert Bruce, pp. 192-193; Scott, Scotland, p.148; Guthrie, A General History of Scotland, p.254.

(٢٤) John Barbour, The Bruce, p.298. CF also: Mackie, The story of King Robert Bruce, p.193; Tytler, The History of Scotland, pp.303-304; Murison, King Robert the Bruce, p.124; Fraser, Douglas Book, p.139; Sheldon, History of Berwick, p.83.

- **موراي Moray :** إحدى المقاطعات الاسكتلندية، وتقع ناحية الشمال الشرقي على نهر موراي، كان يطلق عليها في البداية اسم مقاطعة ايلجين Elginshire، والعاصمة هي مدينة ايلجين Elgin، وكانت مقاطعة موراي القديمة مترامية الأطراف حيث كانت تضم المناطق الحالية لمقاطعة موراي بالإضافة إلى نايرن Nairn وأجزاء من انفيرنيس Inverness، وتعد من أهم المقاطعات الزراعية التي تشتهر بتَرْبِية الماشيةِ والخِرافِ، بالإضافة إلى حرفة الصيد، كما يوجد بها العديد من المصايف. راجع:

Moore, Encyclopedia of places, p.495.

(٢٥) Mackie, The story of King Robert Bruce, p.193; Ridpath, The Border – History, p.258.

(٢٦) Tytler, The History of Scotland, p.304.

(٢٧) John Barbour, The Bruce, p.300. CF also: Fraser, Douglas Book, p.140; Mackie, Murison, King Robert the Bruce, p.124; Sheldon, History of Berwick, p.84; Maxwell, Robert the Bruce, p.256; Scott, Scotland, p.149.

(٢٨) Tytler, The History of Scotland, p.304; Mackie, The story of King Robert Bruce, p.193; Wright, The History of Scotland, p.106; Ridpath, The Border – History, p.258.

(٢٩) John Barbour, The Bruce, p.300. CF also: Fraser, Douglas Book, p.140; Mackie, The story of King Robert Bruce, p.194; Maxwell, Robert the Bruce, p.256; Tytler, The History of Scotland, p.304.

(٣٠) The Book of Pluscarden, in The Historians of Scotland, vol. X, ed. By Skene, J., Edinburgh, 1880, p.187; John of Fordun**,** Chronicle of Scottish Nation, trans. from original texts by Skene, J., & ed. by Skene, W., in the Historians of Scotland, vol. IV**,** Edinburgh, 1872, p.340; Dunbar, A., Scottish kings A revised Chronology of Scottish History, 1005-1625, Edinburgh, 1906, p.135.

(٣١) p.219. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.124.

(٣٢) John Barbour, The Bruce, p.301. CF also: Mackie, The story of King Robert Bruce, p.194; Murison, King Robert the Bruce, p.124; Ridpath, The Border – History, p.258; Sheldon, History of Berwick, p.85 .

(٣٣) Calendar of documents relating to Scotland, p.118. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.257.

- **نيوكاسيل** : تقع في شمال إنجلترا ضمن مقاطعة نورثمبريا على الضفة الشمالية لنهر التاين، وتبعد حوالي تسعة أميال عن مصب النهر، وقد اشتقت أسمها من قلعة نيوكاسيل التي أسسها روبرت الابن الأكبر للملك وليم الفاتح، وتشتهر بوجود عدد من الكنائس الضخمة، التي ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وتعد المدينة ميناءً هامًا للتصدير، ومركزًا صناعيًا هامًا، ويوجد بها العديد من الصناعات مثل بناء السفن والهندسة الكهربائية والملاحية والصابون وغيرها. راجع : Moore, Encyclopedia of places, p.516.

(٣٤) Tytler, The History of Scotland, p.304; Wright, The History of Scotland, p.106; Scott, Scotland, p.149; Ridpath, The Border – History, p.258.

(٣٥) Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.83; Fraser, Douglas Book, p.140; Guthrie, A General History of Scotland, p.255; Ridpath, The Border – History, p.258; Sheldon, History of Berwick, p.86.

(٣٦) Calendar of documents relating to Scotland, p.115. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, pp.256-257.

(٣٧) The Book of Pluscarden, p.187; Annals of Scotland from the accession of Malcolm III in the year MLVII to the accession of the House of Stewart in the year MCCCLXXI, ed., by Hailes, D., Edinburgh, 1819, 3 Vols., Vol. I, pp.235-244; John of Fordun, Chronicle of Scottish Nation, p.340. CF also: Webster, B., Anglo-Scottish Relations, 1296-1389: Some Recent Essays, in The Scottish Historical Review, Vol. LXXIV, 1: No.197: April 1995, p.99.

وفيما يتعلق بمصير بيتر من سبالدينج الذي قام بدور مهم في تسليم بيرويك للإسكتلنديين، فقد تم إعدامه في إسكتلندا نتيجة إلحاحه في الحصول على المكافئة التي تم الاتفاق عليها، حيث اتهم بالخيانة؛ لقيامه بالمشاركة في أحد التمردات ضد الملك روبرت بروس راجع :

Murison, King Robert the Bruce, p.124; Drake, J., An Impartial History of all that happened between The kings and kingdoms of England and Scotland, from The beginning of The reign of William The Conqueror to The reign of Queen Elizabeth, London, 1703, p.82. Fraser, Douglas Book, p.141.

(٣٨) The Chronicle of Lanercost, pp. 219-220. CF also: Tytler, The History of Scotland, p.305; Fraser, Douglas Book, p.140; Strickland, M., A Law of Arms or a Law of Treason? Conduct in War in Edward I's Campaigns in Scotland, 1296–1307, in Violence in Medieval Society, ed. Kaeuper, R., Woodbridge, 2000, pp.64–68.

(٣٩) Burton, History of Scotland, p.279; Tytler, The History of Scotland, p.305; Wright, The History of Scotland, p.106.

(٤٠) John Barbour, The Bruce, p.303. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.266; Wright, The History of Scotland, p.106; Ridpath, The Border – History, pp.258-259; Guthrie, A General History of Scotland, p.255.

(٤١) John Barbour, The Bruce, p. 303. CF also: Scott, Scotland, p.149; Mackie, The story of King Robert Bruce, p.195; Tytler, The History of Scotland, pp. 305-306; Sheldon, History of Berwick, p.87.

(٤٢) Burton, History of Scotland, p.279.

(٤٣) The Chronicle of Lanercost, p.274; John Barbour, The Bruce, p.303. CF also: Mackie, The story of King Robert Bruce, p.195; Tytler, The History of Scotland, p.305; Burton, History of Scotland, p.279; Guthrie, A General History of Scotland, p.255; Ridpath, The Border – History, p.259.

- نجح الإنجليز في القبض على جون كراب عام ١٣٣٢م، وبدلاً من إطلاق سراحه مقابل فدية تم احتجازه في إنجلترا، وقدم المساعدة للملك الإنجليزي إدوارد الثالث في حملته التي شنها على إسكتلندا عام ١٣٣٥م، كما قام بدور مهم في الحصار الإنجليزي لقلعة دنبار في عام ١٣٣٧م . راجع :

Caldwell, D., The Scots and Guns, in England and Scotland in The Fourteenth Century New Perspectives, Edited by King, A., & Penman, M., Woodbridge, 2007, p.63.

(٤٤) The Chronicle of Lanercost, p.220. CF also: Mackie, The story of King Robert Bruce, p.194; Murison, King Robert the Bruce, p.125 ;Wright, The History of Scotland, pp. 106-107; Guthrie, A General History of Scotland, p.257; Ridpath, The Border – History, p.259.

- كانت هذه الغارة من أهم الهجمات الإسكتلندية على الشمال الإنجليزي، ولم يبق صامدًا أمام الهجوم الإسكتلندي سوى قلاع كارليل Carlisle تحت قيادة دى هاركلا De Harcla وقلعة نورهام Norham تحت قيادة توماس من جراى Thomas De Gray. لمزيد من التفاصيل حول هذه الغارة الحدودية. راجع:

Historical papers and letters from the Northern Registers, edited by Raine, J., London, 1873, p. xxvii; Chronicles of England, Scotland and Ireland, p.352. CF also: Scott, Scotland, p.149.

(٤٥) Burton, History of Scotland, pp. 278-279; Sheldon, History of Berwick, p.86.

(٤٦) Tytler, The History of Scotland, p.305; Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.83; Fraser, Douglas Book, p.141.

(٤٧) Calendar of documents relating to Scotland, pp.113-114. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.125; Maxwell, Robert the Bruce, p.257; Fraser, Douglas Book, p.143.

(٤٨) Lomas, R., The Impact of Border Warfare: The Scots and South Tweedside, c. 1290-c. 1520, in The Scottish Historical Review, Vol. 75, No. 200, part 2 ,October 1996, p.150.

(٤٩) Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.153. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.125; Maxwell, Robert the Bruce, p.259; Ridpath, The Border – History, p.260.

(٥٠) Scott, Scotland, pp. 149-150.

(٥١) Wright, The History of Scotland, p.107.

(٥٢) Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, Annales Londonienses and Annales Paulini, vol. I, ed., by Stubbs, W., in R. S., London, 1965, pp. 101-102; Historical papers and letters from the Northern Registers, p.290; A chronicle of England, B.C. 55- A.D. 1485, p.285; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.153. CF also: Ridpath, The Border – History, p.260.

(٥٣) Historical papers and letters from the Northern Registers, p.310. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.265; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.261.

(٥٤) Murison, King Robert the Bruce, p.128; Ridpath, The Border – History, p.261.

(٥٥) Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, p.102. CF also: Scott, Scotland, p.150; Fraser, Douglas Book, p.143.

(٥٦) Murison, King Robert the Bruce, p.128 .

(٥٧) Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.83; Ridpath, The Border – History, p.262 Sheldon, History of Berwick, p.89; Maxwell, Robert the Bruce, p.265.

(٥٨) The acts and Monuments of John Foxe, in The Church Historians of England, London, 1865, p.650; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.154; John of Fordun**,** Chronicle of Scottish Nation, pp. 340-341; John Barbour, The Bruce, p.304. CF also: Fraser, Douglas Book, p.144; Guthrie, A General History of Scotland, p.257.

(٥٩) Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.83; Ridpath, The Border – History, p.262; Tytler, The History of Scotland, p.309; Sheldon, History of Berwick, p.89.

(٦٠) John Barbour, The Bruce, p.305. CF also: Wright, The History of Scotland, pp.107-108; Sheldon, History of Berwick, p.89; Ridpath, The Border – History, p.262; Tytler, The History of Scotland, p.309; Mackenzie, History of Scotland, p.156.

(٦١) Mackie, The story of King Robert Bruce, pp.195-196.

(٦٢) Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.83; Murison, King Robert the Bruce, p.128; Mackenzie, History of Scotland, p.157; Sheldon, History of Berwick, p.89.

(٦٣) Mackie, The story of King Robert Bruce, p.196; Wright, The History of Scotland, p.108; Tytler, The History of Scotland, p.310; Sheldon, History of Berwick, pp.89-90; Mackenzie, History of Scotland, p.157.

* من المعلوم أن الخطوط الدفاعية للمدن في العصور الوسطى كانت تتكون من خنادق ثم أسوار دفاعية، لذلك قامت القوات الإنجليزية عند هجومها على مدينة بيرويك بهدم جزء من الخندق الدفاعي للمدينة لعبور القوات والوصول إلى الأسوار الدفاعية لها لمحاولة تثبيت السلالم عليها.

(٦٤) John Barbour, The Bruce, p. 307. CF also: Lawrie, The History of the Scottish Wars, pp.83-84; Maxwell, Robert the Bruce, p.266; Murison, King Robert the Bruce, p.128; Mackie, The story of King Robert Bruce, p.196; Scott, Scotland, p.150; Ridpath, The Border – History, p.262; Mackenzie, History of Scotland, p.156.

(٦٥) Mackie, The story of King Robert Bruce, p.196; Mackenzie, History of Scotland, p.157; Sheldon, History of Berwick, pp.90-91.

(٦٦) Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.84; Maxwell, Robert the Bruce, p.266; Mackenzie, History of Scotland, p.157; Scott, Scotland, p.150; Ridpath, The Border – History, p.262; Tytler, The History of Scotland, p.310.

(٦٧) Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.84 ; Tytler, The History of Scotland, p.310; Ridpath, The Border – History, p.262; p.157; Mackenzie, History of Scotland, p.157; Wright, The History of Scotland, p.108.

(٦٨) John Barbour, The Bruce, p.307-308. CF also: Mackie, The story of King Robert Bruce, pp.197-198; Mackenzie, History of Scotland, p.157; Sheldon, History of Berwick, p.92.

(٦٩) Wright, The History of Scotland, p.108; Mackie, The story of King Robert Bruce, p.198.

(٧٠) Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.84; Mackenzie, History of Scotland, p.157-158; Murison, King Robert the Bruce, p.129; Scott, Scotland, p.150; Ridpath, The Border – History, p.263; Sheldon, History of Berwick, pp. 92-93; Burton, History of Scotland, p.280.

(٧١) Maxwell, Robert the Bruce, p.267; Mackie, The story of King Robert Bruce, pp.198-198; Mackenzie, History of Scotland, p.158.

(٧٢) Mackie, The story of King Robert Bruce, p.199; Tytler, The History of Scotland, p.311.

(٧٣) Murison, King Robert the Bruce, p.129; Ridpath, The Border – History, p.263; Maxwell, Robert the Bruce, p.267; Sheldon, History of Berwick, p.93; Caldwell, The Scots and Guns, p.63; Mackenzie, History of Scotland, p.158.

(٧٤) Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.84; Mackie, The story of King Robert Bruce, p.199; Sheldon, History of Berwick, p.93; Wright, The History of Scotland, p.108.

(٧٥) Calendar of documents relating to Scotland, p.126. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, pp. 266-267.

(٧٦) Murison, King Robert the Bruce, p.129; Mackie, The story of King Robert Bruce, p.199; Wright, The History of Scotland, p.109**;** Scott, Scotland, p.151; Tytler, The History of Scotland, p.311-312; Mackenzie, History of Scotland, pp.158-159.

(٧٧) John Barbour, The Bruce, p.316. CF also: Mackie, The story of King Robert Bruce, p.200; Sheldon, History of Berwick, pp. 94-95; Maxwell, Robert the Bruce, p.268; Tytler, The History of Scotland, p.312-313; Mackenzie, History of Scotland, p.159.

(٧٨) Mackie, The story of King Robert Bruce, p.200; Maxwell, Robert the Bruce, p.268; Wright, The History of Scotland, p.108.

(٧٩) The Bruce, p. 319. CF also: Mackie, The story of King Robert Bruce, p.200; Murison, King Robert the Bruce, p.130; Tytler, The History of Scotland, p.313; Wright, The History of Scotland, p.109.

(٨٠) John Barbour, The Bruce, p.319. CF also: Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.85; Mackenzie, History of Scotland, p.159; Maxwell, Robert the Bruce, p.268; Ridpath, The Border – History, p.263 ; Sheldon, History of Berwick, p.93.

(٨١) Mackie, The story of King Robert Bruce, p.201.

(٨٢) John Barbour, The Bruce, p.310; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.156. CF also: Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.85; Mackenzie, History of Scotland, p.160; Fraser, Douglas Book, p.144 ;Maxwell, Robert the Bruce, p.268; Scott, Scotland, p.152.

(٨٣) Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, p.103; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.155. CF also: Lawrie, The History of the Scottish Wars, pp.85-86; Murison, King Robert the Bruce, p.130 ; Scott, Scotland, p.152; Ridpath, The Border – History, p.263; McNamee, The Wars of the Bruces, p.127.

- نوتنجهام : هي إحدى المدن الإنجليزية الواقعة داخل نطاق مقاطعة نوتنجهام Nottinghamshire ، الواقعة على نهر ترينت R. Trent، وهى المدينة الرئيسية بالمقاطعة، وتشتهر حاليًا بالكثير من الصناعات أهمها السجائر والدرجات والأدوية، وكانت مركزًا لانعقاد البرلمان الإنجليزي عامي ١٣٣٤و١٣٣٧م. راجع :

Moore, Encyclopedia of places, p.536.

(٨٤) Armitage, The Connection between England and Scotland, p.64. Tytler, The History of Scotland, p.314.

(٨٥) Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.155. CF also: Lawrie, The History of the Scottish Wars, pp.85-86; Ridpath, The Border – History, p.263; Tytler, The History of Scotland, p.314; Wright, The History of Scotland, p.109.

(٨٦) Historical papers and letters from the Northern Registers, p. 275; The Chronicle of Lanercost, p.226; The acts and Monuments of John Foxe, p.650; John Barbour, The Bruce, pp.311-312; The New Chronicles of England and France, p.422; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.156. CF also: Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.86 Maxwell, Robert the Bruce, pp. 259-269; Fraser, Douglas Book, p.144; Drake, An Impartial History, p.83.

(٨٧) John The Chronicle of Hardyng, ed., Grafton R., & Ellis, H., London, 1812, p.309. CF also: Scott, Scotland, p.152; Wright, The History of Scotland, p.110**;** Tytler, The History of Scotland, p.315.

(٨٨) The New Chronicles of England and France, p.422; Historical papers and letters from the Northern Registers, p.294; The acts and Monuments of John Foxe, p.650; Chronicles of England, Scotland and Ireland, p.353; John Barbour, The Bruce, p. 312. CF also: Drake, An Impartial History, pp.83-84; McNamee, The Wars of the Bruces, pp. 128-129 ; Dunbar, Scottish kings, p.102.

(٨٩) John Barbour, The Bruce, p.312. CF also: Rait, R., An Outline of the Relations between England and Scotland (500-1707), London, 1901, p.57. Mackie, The story of King Robert Bruce, p.202; Armitage, The Connection between England and Scotland, p.64; Fraser, Douglas Book, p.145.

(٩٠) The acts and Monuments of John Foxe, p.650. CF also: Scott, Scotland, p.152; Guthrie, A General History of Scotland, p.258; Wright, The History of Scotland, p.110.

(٩١) The Chronicle of Lanercost, p.227; Chronicles of England, Scotland and Ireland, p.353. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.130.

(٩٢) Mackie, The story of King Robert Bruce, p.202-203.

(٩٣) The Chronicle of Lanercost, p.227; John Barbour, The Bruce, p.320-321. CF also: Fraser, Douglas Book, p.145; Murison, King Robert the Bruce, p.131; Guthrie, A General History of Scotland, p.259; McNamee, The Wars of the Bruces, p.132 ;Tytler, The History of Scotland, p.315.

(٩٤) Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.85.
تمت إدانة إيرل لانكستر كخائن؛ لقيامه بتقديمه الدعم للإسكتلنديين ضد إنجلترا؛ لذا تم قطع رأسه خارج مدينة بونتفراكت Pontefract . راجع :
A chronicle of England, B.C. 55- A.D. 1485, pp.286-287. CF also: Sanderson, History of England, p.229.

(٩٥) Murison, King Robert the Bruce, p.131; Ridpath, The Border – History, p.263.

The Chronicle of Lanercost, p.227; A chronicle of England, B.C. 55- A.D. 1485, (٩٦) p.285. CF also: Lawrie, The History of the Scottish Wars, p.86; Ridpath, The Border – History, p.264; Wright, The History of Scotland, p.110**;** Sheldon, History of Berwick, p.94

(٩٧) The Chronicle of Lanercost, p.227; Chronicles of England, Scotland and Ireland, p.353. CF also: Sheldon, History of Berwick, p.94; Mackie, The story of King Robert Bruce, p.203; Fraser, Douglas Book, p.145; Ridpath, The Border – History, p.264.

(٩٨) Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, p.104. CF also: Guthrie, A General History of Scotland, p.259; Scott, Scotland, p.153; Fraser, Douglas Book, p.145; Tytler, The History of Scotland, p.316.

(٩٩) Calendar of documents relating to Scotland, p.125; Chronicles of England, Scotland and Ireland, p.353; The Chronicle of Lanercost, p.227. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.265; Ridpath, The Border – History, p.260; Mackie, The story of King Robert Bruce, p.203.

(١٠٠) Lawrie, The History of the Scottish Wars, pp. 86-87; Ridpath, The Border – History, p.264; Sheldon, History of Berwick, pp. 94-95; Mackie, The story of King Robert Bruce, pp. 203-204.
هي منطقة في الجنوب الشرقي لإسكتلندا، تضم أقاليم لوثيان الغربية W. Lothian ، ولوثيان الوسطى Midlothian ولوثيان الشرقية E. Lothian ، وفي السابق كانت تضم المنطقة الواقعة بين نهر فورث ونهر التويد، وكانت تشكل جزء من نورثمبريا ، لكنها ألحقت بإسكتلندا في عام ١٠١٨م . راجع :
Moore, W., Op. Cit., P.440.

(١٠١) The Chronicle of Lanercost, pp. 227-228; Chronicles of England, Scotland and Ireland, p.353; The Book of Pluscarden, p.188. CF also: Bright, F., History of England, Period I Mediaeval Monarchy: The Departure of the Romans, to Richard III. From A.D. 449 to A.D. 1485, Oxford, 1875, p.206; Drake, An Impartial History, p.84; Murison, King Robert the Bruce, p.131.
لمزيد من التفاصيل حول الغارات الإسكتلندية على شمال إنجلترا في عهد الملك روبرت بروس . راجع:
Duncan, A., The War of the Scots, 1306-1323: in Transactions of the Royal Historical Society, Sixth Series, vol. II, 1992, pp.125-151; Scammell, J., Robert I and the North of England, in English Historical Review, 1958, pp.385-403.

(١٠٢) Powicke, M., Edward II and Military Obligation, in Speculum Vol. 31, No. I, Jan., 1956, pp.103-109.

(١٠٣) Sanderson, History of England, p.228.

(١٠٤) Calendar of documents relating to Scotland, pp.129-130; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, pp.155-156; Chronicles of England, Scotland and Ireland, p.353; Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, p.104. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.131; Guthrie, A General History of Scotland, p.260; Drake, An Impartial History, p.84.
- ضمت السفارة الإنجليزية كل من أسقف إيلي، وإيرل بيمبروك Pembroke ، وهيو ديسبينسر Hugh Despenser ، وعلى الجانب الإسكتلندي فقد حدد الملك روبرت بروس خمسة مفوضين من كبار البارونات وليم من سوليس William de Soulis، و روبرت من كيث، وروجر من كيركباتريك,Roger de Kirkpatrick ، السير ألكسندر من سيتون Alexander de Seton ، و وليم من مونتفيخت William de Montfichet. راجع : Maxwell, Robert the Bruce, pp. 270-271.

(١٠٥) Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, 358; The Chronicle of Lanercost, pp.278-279; A chronicle of England, B.C. 55- A. D.1485, p.294; The acts and Monuments of John Foxe, p.671; John of Fordun, Chronicle of Scottish Nation, p.362; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.195. CF also: Fraprie, The Castles and Keeps, p.282; Brown, M., Scottish Baronial Castles 1250-1450, New York, 2009, p.28; Lomas, The Impact of Border Warfare, pp.150-151; Bright, History of England, p.217.

خريطة توضح موقع مدينة بيرويك وأهم الأماكن التي ورد ذكرها في البحث:

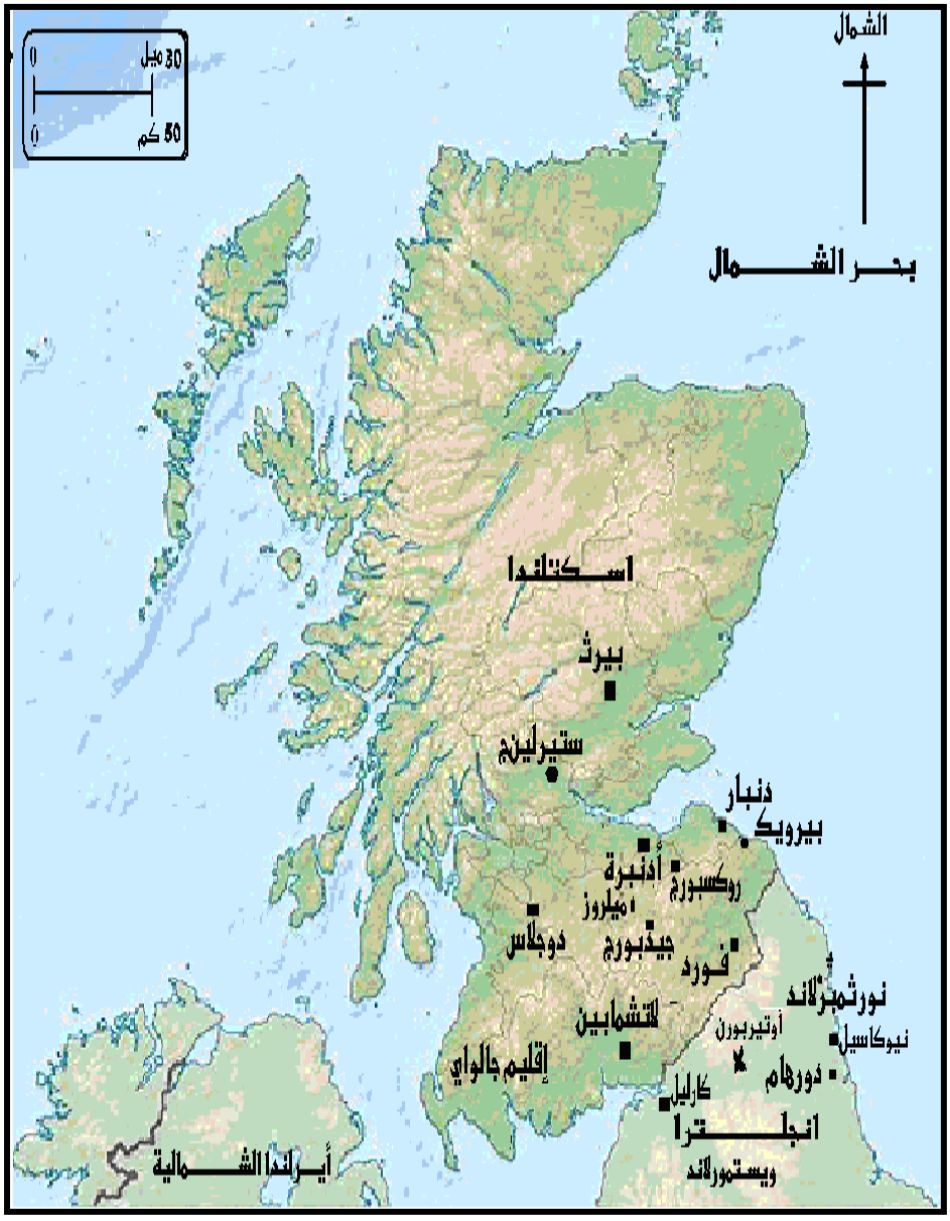

Barrell, D., Medieval Scotland, Cambridge, 2003, p.14.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

- **The acts and Monuments of John Foxe**, in The Church Historians of England, London, 1865.
- **Ad Cardinales, de successu, & transactis**, in Tractatu cum Roberto de Brus in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739.
- Annals of Scotland from the accession of Malcolm III in the year MLVII to the accession of the House of Stewart in the year MCCCLXXI, 3 vols., vol. I, ed., by Hailes, D., Edinburgh, 1819.
- **The Book of Pluscarden**, in The Historians of Scotland, vol. X, ed. by Skene, J., Edinburgh, 1880.
- **Calendar of documents relating to Scotland**, ed., Bain, J., preserved in Public Record Office, 4 vols., vol. III, A.D. 1307—1357, Edinburgh, 1887.
- **Capgrave, J.,**

  The Chronicle of England, ed., by Hingeston, F., London, 1858.
- **A chronicle of England,** B.C. 55- A.D. 1485, written and illustrated by Doyle, J., London, 1864.
- Chronicles of England, Scotland and Ireland, Six vols., vol. V, ed. by Holinshed, R., London, 1808.
- **The Chronicle of Lanercost, (**1272–1347), trans. with notes by Maxwell, H., Glasgow, 1913.
- Chronicles of the Picts, Chronicles of the Scots, and other early Memorials of Scottish History, ed., by Skene, W., Edinburgh, 1867.

- Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, Annales Londonienses and Annales Paulini, vol. I, ed., by Stubbs, W., in R. S., London, 1965.

- John The Chronicle of Hardyng, ed., Grafton R., & Ellis, H., London, 1812.

- **Early Sources of Scottish History**, A. D. 500 To 1286, collected and trans. by Anderson, A., 2 Vols, Vol., II, London, 1922.

- **Historical papers and letters from the Northern Registers**, edited by Raine, J., London, 1873.

- John of Tynmouth,

The chronicle , in Nova Legenda Anglie, ed., by Horstmann, C., Oxford, 1901.

- John Barbour,

The Bruce, ed., by Mackenzie, W., London, 1909.

- John of Fordun,

Chronicle of Scottish Nation, trans. from original texts by Skene, J., & ed. by Skene, W., in the Historians of Scotland, vol. IV**,** Edinburgh, 1872.

- The New Chronicles of England and France, ed., by Fabyan, R., London, 1811, p.421;

- **Scottish Annals from English Chroniclers**, A.D. 500–1286, Collected by, Anderson A., Harford, 1922.

- Thomas Walsingham,

Chronica Monasteriis Albani, Historia Anglicana, vol. I, A. D., 1272– 1381, ed., by Riley, H., London, 1863.

ثانيًا: المراجع الأجنبية والدوريات العلمية الأوربية :

- Armitage, E.,

The Connection between England and Scotland, London, 1985.

- Barrell, D.,

Medieval Scotland, Cambridge, 2003.

- Bright, F.,

History of England, Period I Mediaeval Monarchy: The Departure of the Romans, to Richard III. From A. D. 449 to A.D. 1485, Oxford, 1875.

- **Brown, M.,**

Scottish Baronial Castles 1250-1450, New York, 2009.

- Burton, J.,

History of Scotland from Agricola's invasion to the extinction of the last Jacobite insurrection, 8 vols, vol. I, London, 1873.

- **Caldwell, D.,**

The Scots and Guns, in England and Scotland in The Fourteenth Century New Perspectives, Edited by King, A., & Penman, M.,Woodbridge, 2007.

- **Donnelly, J.,**

An Open Port: The Berwick Export Trade, 1311–1373, in The Scottish Historical Review, Vol. 78, No. 206, part II, Oct., 1999, pp.145-169.

- **Drake, J.,**

An Impartial History of all that happened between The kings and kingdoms of England and Scotland, from The beginning of The reign of William The Conqueror to The reign of Queen Elizabeth, London,1703.

- Dunbar, A.,

Scottish kings A revised Chronology of Scottish History, 1005-1625, Edinburgh, 1906.

- Duncan, A.,

The War of the Scots, 1306-23: in Transactions of the Royal Historical Society, Sixth Series, vol. 2, 1992, pp.125-151.

- Fraprie, F.,

The Castles and Keeps of Scotland, London, 1932

- Fraser, W.,

Douglas Book, in Four Volumes, vol. I, Douglas Memoirs, Edinburgh, 1885

- Grant, A.,

Fourteenth Century Scotland, in The new Cambridge Medieval History, vol. VI 1300-1415, ed., by Jones, M., Cambridge, 2008.

- Guthrie, W.,

A General History of Scotland from the Earliest Accounts to the Present Time, vol. II, London, 1876.

-Lawrie, J.,

The History of the Scottish Wars from the battle of the Grampian Hills in the year 85 to that of Culloden in the year 1746, Edinburgh, 1825.

- **Lomas, R.,**

The Impact of Border Warfare: The Scots and South Tweedside, c. 1290-c. 1520, in The Scottish Historical Review, Vol. 75, No. 200, part II ,October 1996.

- **Mackenzie, J.,**

The History of Scotland, London, 1902.

- MacEwen, A.,

A History of the Church in Scotland: in 2 vols., vol. I, 397-1546, London, 1915.

- Mackay, A., & Ditchburn, D.,(ed.)

Atlas of Medieval Europe, ed. By London, 1997.

- **Mackie**,

The story of King Robert Bruce, New York,2007.

- **Maxwell, B.,**

Robert the Bruce and the struggle for Scottish Independence, London, 1897.

- McNamee, C.,

The Wars of the Bruces: Scotland, England, and Ireland 1306–1328, Edinburgh, 2006.

- Moffat, J.,

The Church in Scotland, A history of its Antecedents, its Conflicts, and its Advocates, Philadelphia, 1882.

- Murison, A.,

King Robert the Bruce, Edinburgh, 1980.

- Powicke, M.,

Edward II and Military Obligation, in Speculum Vol. 31, No. 1 Jan., 1956, pp.92-119.

- Rait, R.,

An Outline of the Relations between England and Scotland (500-1707), London, 1901.

- Ridpath, G.,

The Border - History of England and Scotland, London, 1776.

- Sanderson, E.,

History of England, London, 1966.

- Scammell, J.,

Robert I and the North of England, in English Historical Review, 1958, pp.385-403

- Scott, W.,

Scotland, 2 vols., vol. I, New York, 1900.

- Sheldon, F.,

History of Berwick up-on Tweed, Edinburgh,1849.

- **Strickland, M.,**

A Law of Arms or a Law of Treason? Conduct in War in Edward I's Campaigns in Scotland, 1296–1307 , in Violence in Medieval Society, ed. Kaeuper, R., Woodbridge, 2000, pp.64–68.

- Thomson, T.,

A History of the Scottish People from the earliest times, London, 1893.

- Tytler, P.,

The History of Scotland from the Accession of Alexander III to the Union, vol. I, Edinburgh, 1866.

- Webster, B.,

Anglo-Scottish Relations, 1296-1389: Some Recent Essays, in The Scottish Historical Review, Volume LXXIV, No. 197, April 1995, pp. 99-108.

- Wright, T.,

The History of Scotland from the Earliest Period to the Present Time, London, 1850.